أنين
ثاني أكسيد الحنين

د. أحمد هارون

عنوان الكتاب: أنين ثاني أكسيد الحنين

المؤلف: د. أحمد هارون

تصحيح لغوي: عبدالهادي عباس

الإخراج الداخلي: رشا عبدالله

تصميم الغلاف: د. أحمد جمال عيد

رقم الإيداع: ٢٠١٨/٢١٨٩

ردمك : 978-977-6549-51-7

الطبعة الأولى: يناير 2018

المدير العام : هاله البشبيشي

المدير التنفيذي : شريف الليثي

دار تويا للنشر والتوزيع

dartoya2015@gmail.com

دار تويا للنشر و التوزيع Dar.toya

@Dar_Toya

Dar.toya

(+2) 01066444204 - (+2) 01000706014

٣٥ شارع النصر – المعادي – القاهرة – مصر

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

أنين
ثاني أكسيد الحنين

د. أحمد هارون

دار تويا للنشر والتوزيع

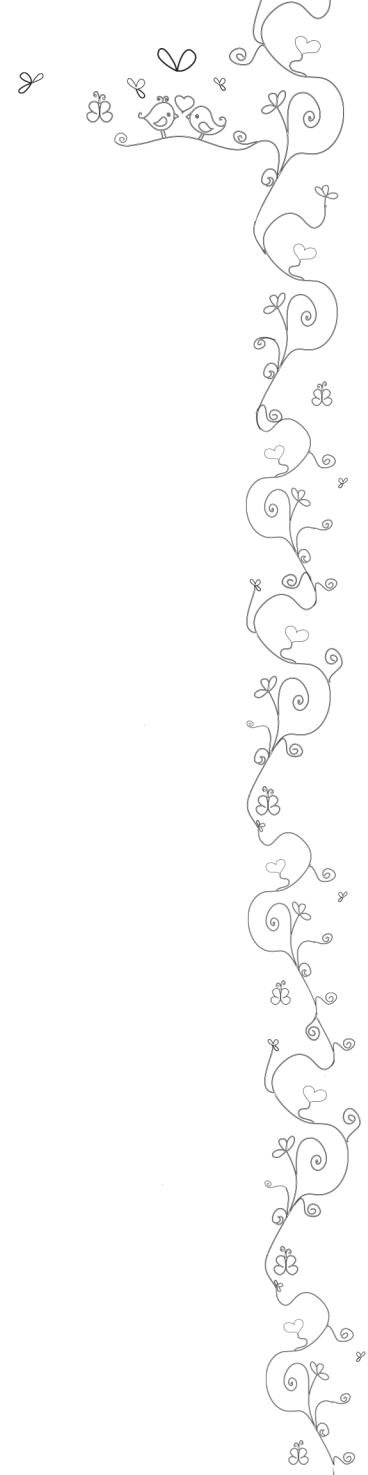

الإهداء..

إليها..
تلكَ المرأة التي أهديت، وأُهدي، وسأُهدي لها
كل ما كتبت.. وألَّفت.. وشعرت.. واستشعرت
وكل ما وجدت.. وملكت، وتملكت.. وفقدت..
أُهديها حنيني إليها..
بنبضات أنين ثاني ألسيد الحنين
لأنها تستحق كل ذلك.. وأكثر.

أحمد هارون الشريف

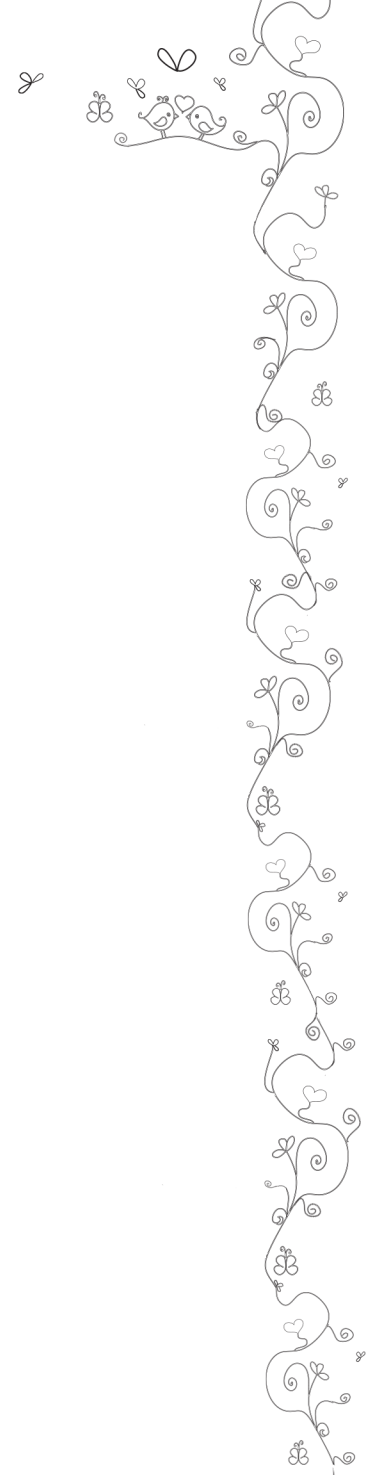

المحتويات

قبل أن تسأل.. لماذا هذا الكتاب من المؤلِّف؟! 9
مقدمة المؤلِّف 13
نبضات أنين ثاني أكسيد حنين 17
قبل أن تحكم على المؤلَّف.. وتحاكِم المؤلِّف 171
عن المؤلِّف 176

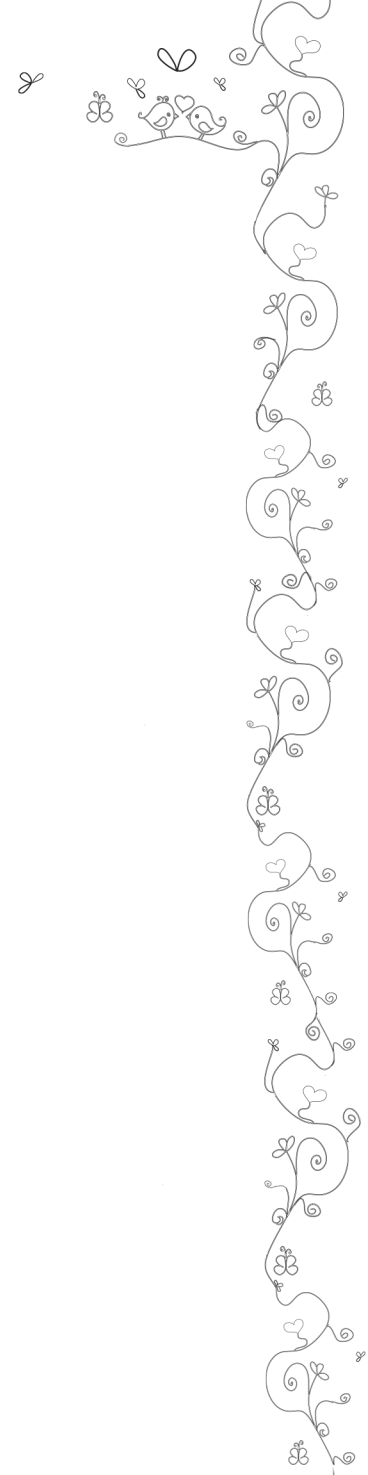

قبل أن تسأل..
لماذا هذا الكتاب من المؤلّف..؟

عزيزي القارئ.. أعلم ذلك السؤال الذي يجول بخاطرك الآن..

لماذا هذا الكتاب من مُعالِج نفساني..؟

لماذا يطرق أبواب الشعر ويزاحم الشعراء..؟

لماذا يعرض كل تلك المشاعر الخاصة على الناس عامة..؟

لماذا بما يحتويه من إحساسٍ مدروسٍ يكتبه خبيرٌ ومُعالِجُ النفوس..؟

لماذا لا يكتفي بما نشره، وينشره من كتبٍ علميةٍ في علم النفس والتنمية الذاتية..؟

مهلًا يا عزيزي..

أعلم مدى إلحاح تلك الأسئلة بخاطرك الآن..

ولا سيما إن كنت ممن يُتابع كتاباتي السابقة في محراب تخصصي النفسي..

ولكن.. من قال لك إن هذا الكتاب بما يحويه لا يخص الصحة النفسية..؟

مَـن أخـبرك أن هـذا الكتـاب بـكل مـا يحتويـه ليـس مـن صميـم التنميـة الذاتيـة..؟

مَـن أوهمـك أن هـذا الكتـاب بـكل مـا فيـه وكل مـا لـه وكل مـا عليـه وكل مـا يضمـه مـن مشـاعر وأحاسـيس وأدب وشـعر، ونـثر وسرد.. بعيـدٌ عـن العلـوم النفسـية؟

الحقيقـة أن هـذا الكتـاب بـكل مـا يحويـه ليـس بعيـدًا عـن تخصـصي الأسـاسي- العـلاج النفـسي المعـرفي- وسـأوضح لـك إجابتـي في الآتي:

أولًا: أنـه ليـس هنـاك سـلوك يصـدر عـن إنسـان إلا وهـو مدفوعًـا بدافـع (مشـاعر أو أفـكار) سـواء كان هـذا الدافـع معلومًـا لـدى الشـخص أو غـير معلـوم لـه، شـعوريا أو لا شـعوري، واعيـا أو لا واعيـا.. وهـو المعـروف بمبـدأ "الحتميـة السـلوكية" أي أن السـلوك "حتـمًا" يحركـه شـعور أو فكـرة..

ثانيًـا: أن "الحتميـة السـلوكية" التـي وضحتهـا لـك، ويجـب عليـك أن تفتـش عنهـا داخلـك ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[1] تسـمى فقهيًـا بالنيَّـة.. والنيَّـة محلهـا القلـب ﴿فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾[2] والقلـب هـو وعـاء المشـاعر.. و"قلـوب يعقلـون بهـا" تعنـى أن بالقلـوب أفـكارًا.. فتصرفاتنـا (السـلوك) تحكمهـا- غالبًـا- مشـاعرنا (بالقلـب) وعقولنـا ليسـت تلـك التـي تقـع في

(1) [الذاريات: 21]

(2) [الحج: 46]

جمجمة الرأس فذلك (مخ) niarB بينما (العقل) dniM فغالبًا ما يقع في القلب في نقطة أبعد من المشاعر..

ثالثًا: وبعد إيضاح السلوك وحتميته، والمشاعر ودورها، والأفكار وحقيقتها..

إذن فما هي حتمية سلوكي وحقيقة مشاعري وأساس أفكاري (نيَّتي الخفيَّة) في نشر ذلك الكتاب بكل ما يحويه؟

الإجابة كمتخصصٍ في العلاج المعرفي للمشكلات الزوجية والأسرية (وعضو بالجمعية الدولية للعلاج الزواجي والأُسري Interantional Family Therapy Association IFTA) هي إصلاح تلك النفوس في تلك العَلاقة الأكثر تشابكًا بين بقية العَلاقات بين الناس وهي عَلاقة الرجل بالمرأة.

رابعًا: أن صميم نيَّتي من نشر ذلك الكتاب على الملأ.. هو الرجوع للفطرة الربانية، بتطبيق سُنَّة نبوية، وتفعيل حقيقة علمية، ونشر معلومة نفسية، وهي "التقديم" بين الزوجين، حيث يقول ربنا جل في عُلاه ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وقد ورد لفظ الحرث في وصف النساء كتشبيه الزوجة بالأرض التي يجب أن يحرثها محراثها وهو الزوج، في تشريعٍ لتقديمٍ يؤتيه الزوج مع زوجته نفسًا، قبل إتيانها جسدًا.. وذِكره سبحانه "وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ" قبل أي إتيان جسدي من

(1) [البقرة: 223]

الـزوج لزوجتـه.. ثـم تأكيـده تعـالى قبـل نهايـة الآيـة عـلى أن ذلـك مـن التقـوى "وَاتَّقُـواْ اللَّـه" وتبشـيره جـل في عُـلاه لمـن يُطبـق ذلـك "وَبَـشِّرِ الْمُؤْمِنِـينَ" كل ذلـك كمفهـومٍ واحـدٍ وهـو الاحتـواء، لمعلـومٍ واحـدٍ وهـو السـكينة، لإرسـاء هـدفٍ واحـدٍ وهـو المـودة والرحمـة بـين الزوجـين.

وهـو مـا أقـره رسـول اللـه (ﷺ) "لا يقعـن أحدكـم عـلى امرأتـه كـما تقـع البهيمـة، وليكـن بينهـما رسـول، قيـل: ومـا الرسـول يـا رسـول اللـه؟ قـال: القبلـة والـكلام" حديـث صحيـح.

خامسًـا: إذن فـكل مـا سـتجده بذلـك الكتـاب- مـن مشـاعر وليسـت أشـعارًا- هـي عـلى سـبيل التقديـم بـين الزوجـين، وجـاء ذلـك الكتـاب بمـا يحتويـه لإرسـاء قواعـد فـن التقديـم بينهـما، فتَصِـح الفطـرة الإلهيـة، وتَعُـم السُّـنَّة النبويـة، فتشـيع السـلامة النفسـية بـين الأفـراد والمجتمعـات..

أراني قد أجبت سؤالك المهم، أو حاولت..

وأراك قد اقتنعت بما أجبتك، أو حاولت.

مقدمة المؤلِّف..

لم يكـن لي أن أعـرض لـك- عزيـزي القـارئ- مقدمـة كتـابي هـذا قبـل أن أجيبـك عـلى سـؤالك السـابق.. والحقيقـة أنـه لم يخطـر ببـالي يومًـا أن أطـرح مشـاعري أو أسردهـا في كتـابٍ منشـورٍ للنـاس يتداولونـه بينهـم..! والحقيقـة أننـي تـرددت كثـيرًا في ذلـك القـرار، إلى أن توصلـت إلى عقـد تلـك النيَّـة والتقيتـك بـين هـذه الصفحـات..

والحقيقـة أيضًـا أني لا أرى فيـما يحويـه هـذا الكتـاب أكـثر مـن كونـه يضـم بـين دفتيْـه مجـرد مشـاعر.. مـن مُجـرد رُجـلٍ.. إلى مجـرد امـرأة.. ولا عجـب.. فكلهـم مُجـردون كـما سـأعرض لـك..

فهـي مجـرد مشـاعر.. لأنهـا ليسـت كلـماتٍ عاطفيـةً أو أشـعارًا رومانسـيةً؛ وإنمـا هـي مشـاعر مُجـرَّدة مـن كل تحريـفٍ، صادقـة دون ادَّعـاء، راسـخة دون تهويـل، باقيـة دون تهويـن، مشـاعر شـعرت بهـا، واستشـعرت آثارهـا، فكتبتهـا يومًـا مـا، واحتفظـت بهـا حتـى أراد القـدر خروجهـا للنـور ونشرهـا..

كانت تلك المشاعر المُجرَّدة من مجرد رجُلٍ..

ولأني أرى ذلك الفارق الكبير بين الذكورة والرجولة، وكثيرًا ما أُردد أن الأولى مجرد نوع، والثانية هي صفات مُجرَّدة.. فحين كتبت تلك المشاعر كنتُ متجردًا من ذكورتي، متحليًا برجولتي، فليس كل ذكرٍ بالضرورة أن يكون رجلًا، بينما كل رجل هو بالضرورة في الأصل ذكرٌ..

كُتِبت هذ المشاعر المجردة إلى مجرد امرأة..

ولأني أرى أيضًا أن الأنثى نوع والمرأة صفات، وأن كل امرأة في أصلها أنثى بينما ليس بالضرورة أن تكون كل أنثى امرأة.. فكانت تلك المشاعر لامرأةٍ مُجرَّدة من شهوة الأنوثة.. امرأة كاملة متكاملة، ارتقت بنوعها الأنثوي من مجرد أُنثى فصارت امرأة مجردة، فكانت لها تلك المشاعر المُجرَّدة مثلها..

والحقيقة أيضًا.. أن من يعرف عني، ويسمع مِني، ويقرأ لي، كثيرًا ما يجد أني أنحاز في كتاباتي ولقاءاتي للمرأة..

بل إني أُقدس ذلك الكيان المتكامل المعروف اصطلاحًا بـ"المرأة"..

ولِمَ لا..؟! وما العجب في ذلك..؟!

فقد كنتُ سابقًا في رحم امرأة..

ولمَّا خرجت للدنيا أنجبتني امرأة..

وكي أبقى أرضعتني امرأة..

وكي أكون ربتني امرأة..

وحينما أحببتُ أحببت امرأة..

وعندما نجحتُ شاركتني نجاحي امرأة..

وفي انفعالي تحملتني امرأة..

وفي انشغالي سألت عني امرأة..

وحين رغبتي لبَّتها امرأة..

وأهدت لي أبنائي امرأة..

وآنستني امرأة..

وجالستني امرأة..

وساندتني امرأة..

ودفعتني لكتابة كل حرف بهذا الكتاب امرأة..

باختصار يا عزيزي..

أنا منها جئت، وبها كنت، ومعها عِشت، وفيها رغبت، ولها افتقدت، وإليها اشتقت، فعنها كتبت.

وأظن ذلك غاية إجابتي عن سؤالك الأول..

وغاية ما أستطيع أن أُجيب به عن امرأتي الأولى..

لذلك أرجو منك ألا تُسمِّي ما ستقرأ بكتابي هذا أشعارًا، بل سمِّها مشاعر..

ولا تحتسبها غزلًا، بل احتسبها أملًا في أن يرى كل الرجال- لا الذكور- المرأة- لا الإناث- كما رأيتها- ولا زلت أراها

وسـأظل- كيانًـا نفسـيًّا متكامـلًا يسـتحق البحـث فيـه، والشـوق لـه، والكتابـة عنـه..

ولذلك كله.. ولكثير غيره قررت نشر كتابي هذا..

راجيًـا بـه وجـه ربي سـائلًا إيَّـاه أن يجعـل نيتـي في نـشره خالصـة لوجهـه الكريـم.. آمـلًا بـه إصـلاح مـا أفسـدته الأيـام في النفـوس، مسـتبشرًا بمـا سـيُحدثه مـن تغيـير في العَلاقـات بـين تلـك النفـوس، متفائـلًا بمـا سـيتعلمه فيـه القـارئ مـن دروسٍ عـن احـترام المـرأة وحُسـن التعامـل معهـا..

وأستغفره تعالى إن كان قد جانبني الصواب في ذلك..

والله من وراء قصد.. هو يقول الحق ويهدي السبيل.

دكتور

أحمد هارون الشريف

أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدة

في ربيع أول 9341هـ- نوفمبر 7102م

نبضات أنين
ثاني أكسيد حنين

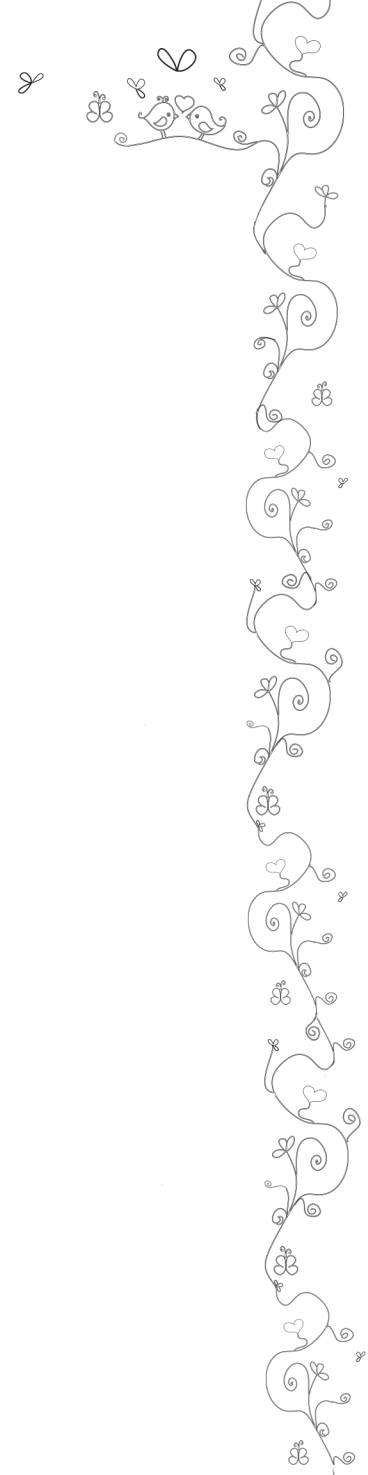

للسائلين عن "رغبة الحب"..

قديمًا سألت شيخي:

هل لي أن أُحبَّ يومًا ما..؟

فأجابني: وهل وجدتَ محبوبتك؟

فأجبته حينها: لم أجدها بعد..

ولكني أستشعر ذلك الحب المقبل..

فقال لي -أكرمه الله- اسمع ما أقوله لك واجعله حلقةً في قلبك لا أذنيك:

الرغبة في الحب هي أولى علامات السلامة النفسية،

ففيه إشباعٌ لفراغ النفس وإكمالٌ لشعور النقص الفطري بها..

أما إن لم تجد تلك الرغبة فيك..

فإما أنك سلبيٌّ متبلدٌ..

أو أنك كارهٌ حاقدٌ..

وكلاهما قصورٌ نفسيٌّ لهؤلاء المرضى والمضطربين..

أكرمك الله يا شيخي ومَدَّ في عمرك كما مددتني بعلمك.

لكل منا أسلوبه الخاص في اختيار من يُحب..
ولبعض منا أسلوبه الأكثر خصوصية..
أسلوب خفي تُحركه قُوى خفية..
قُوى تجعلك الأكثر تأثيرًا في كلٍّ منهن،
والأقل تأثرًا بجاذبية أيٍ منهن..!
تلك الطاقة الخفية..
الروحية أو الشيطانية،
الذكية أو الغبية،
التي تجعلك تفتقد
كل أشكال المتعة واللذة،
وتظل تبحث عنها بينهن..
حتى تكتشف السر الدفين اللعين..
أنك لن تشعر بغيرها،
ولن تستمتع بدونها..
أنها صارت من هناك بعالمها
تتحكم في مقدار لذتك
وقدر استمتاعك..
لتجعلك هاربًا دومًا
من كتبك لأبحاثك..
وتظل تجري وتجري
وأنت غاية في الإنهاك..
ولا تستطيع التوقف عن الجري
إلا مُرتميًا بين أحضانها..!
..

إن لم تفهم شيئًا مما قرأت..؟
فهنيئًا لك..
أنت شخصٌ تقليدي تعش حياة تقليدية
لم تستطع فهم تخاريف الحنين،
ولن تعاني يومًا من آثارها..
أما إن تفهمت ما قرأت واستشعرته..
فللأسف أنت تعاني، وستظل تعاني،
طالما تظهر عليك أعراض أنين الحنين!

قالوا لي إني جوزاء..

كانوا يعنون أني رجل متقلب!

وأني هوائي، ولمشاعري غير مُتحسب!!

هل يعني بحثي عن عينين سوداويْن أتأملهما،

وشفتيْن حمراويْن سُكريتين وسط انشغالي أذوب فيهما،

وذراعين دافئين بعد معاناتي وما ألاقيه بيومي أرتمي بينهما،

وحضن يُلملم أجزائي ويجمع شتاتي ولا أتوقف عندهما،

وعقل أحادثه صراحةً، فيحتويني بفكرٍ ويمدني برأي،

وقلب أداعبه احتياجًا فيرد بلُطفٍ ويغمرني بعطف،

هل يعني ذلك أني هوائي وأني رجل متقلب؟

أم يعني أني عاشق مُنتظرٌ ومُتَرصِّد؟

نعم.. منتظركِ أنــتِ يا هديتي..

يا من تجمعينني يومًا عليكِ،

وتُسلمينني بعدها إليكِ،

وتدخرينني عندكِ،

منتظرك يا امرأة

تنعم بتقلبي

وهوائيتي،

لتعيش أكثر من حياة واحدة.. في آنٍ واحدٍ..

منتظرك شوقًا ومُتَرصِّد.. وسأظل لظهورك مُترقب.

نظرة بنظرة..

ابتسامة بأُخرى..

همسة بهمسة..

لمسة بلمسة..

قُبلة بقُبلة..

حُضن بحُضن..

والبادي أحَــن..

رعشة برعشة..

نشوة بنشوة..

صرخة بلهفة..

دموع بفرحة..

غفلة بغفوة..

تنهيدة بلَحن.

أشتاقُ لامرأةٍ تُلبي كل ما أجلت من اشتياق..

أشتاق لطفلة.. تلعـب على كتفي بخِفـة..

أشتاق لأنثى.. تنتظرنـي بلهفـة..

أشتاق لحياة خاصة جـدًّا..

أصنعها خصيصًا لهـا،

أعيشها معها، وبها،

أشواق وأشواق..

طالما وطالما

أجلتها!

مع كل يومٍ مُمطر..

أتوق للقاء مُرتقب تحت المطر..

بتلك المرأة التي تُغيِّر ملامح القـدر..

تلك الطفلة التي تتخذُني أبـًا لها بالسهر..

تلك الصديقة التي أسترسل حديثي معها بلا حذر..

تلك الرفيقة التي تنال صُحبتي لأسعد برفقتها في السفر..

تلك العاشقة التي تهيم بي عِشقًا، وأهيم بها دون قيد أو حَذر..

أتوقعها سيدةً وطفلةً ورفيقةً وعشيقةً وهديةً ومنحة قدر..

أنتظرُك يا امرأتي مُتلهفًا قبل نهاية موسم المطر..

أتوق لكِ يا طفلتي قبل أن يجذبني النهر..

أتلمس رفقتك وصُحبتك قبل السفر..

أتحسس عشقك قبل السَّحَر..

لأظل بالمطر مترقبًا بعد عناء، هديَّتي المُنتظرة من رب البشر!

أيتها المُتحيِّرة في أمري

هل لي أن أخبرك بشيء عني..؟

أني لا أريد أنثى فقط، كذكر تقبلني!

وأنني لا أرغب في امرأةٍ فقط، كرجلٍ تتقبلني!

ولن أرضى أبدًا كوني طرفًا في عَلاقة تقليدية تحكمني!

بل إني أطمع في كيانٍ متكامل بشديد اهتمامه بي يغمرني،

وأطمح لشخصٍ متوازن بجميل أفكاره وجنون أحاسيسه يشملني..

فأنا رجلٌ اعتزل نساء الأرض لصالح واحدة منهن تنتظرني،

ورفض إغراءات القوم، من أجل حياة معها تسعدني،

وقاوم طلبات الأم، بقبول من تدنو تُغازلني،

وحارب شهوات جَمٍّ، منهن تراودني..

رجل، اختزلت نفسي لامرأة

تستحق ما اختزلت لها.. فستنتصر بي عليهن وعليهم تنصرني..!

تسأليني عن أمري!

هل يظهر مني ما يُقلقك..؟

هل تجدي بي ما يُثير اهتمامك..؟

هل أبدو لكِ حقًّا غريبًا عما كُنتُ من قبل؟

هل تجديني فعلًا مُريبًا بتلك الليلة؟

اطمئني سيدتي من أمري..

فما يبدو ظاهرًا عليَّ..

هو مجرد رغبة جارفة مني..

نحوك أنتِ، فقط، دون سواكِ..!

يا امرأة تكتمل بوجودها أركان رجولتي..

دعيني أُظهر كل ما اختزلتُ لكِ..

أغتنم بجنون عارم أنوثتك..

وأتخلل بهدوء أبعادك.

وتسألينى من أنـتَ؟

أنا الزحام والفراغ..

الضوضاء والهدوء..

الرغبة والرهبة..

التقوى والشهوة..

الجرأة والخوف..

الثبات والاندفاع..

الغفلة والحَذر..

الإسراف والحِرص..

الأستاذ والتلميذ..

الشيخ والمُريد..

العابد والفاسد..

الطيبة والشر..

العِلم والجهل..

الدكتور والمريض..

أنا الجــوزاء.. بكل

ما يحمله من تناقضات

تجديها مثيرة للمتعة والشفقة

والحياة والموت..

أنا من يجعلك تعيشين

أكثر من حياة واحدة، في آنٍ واحدٍ..
حياة أُكسجينها أنا.. وثاني أكسيدها أنتِ..
فتنفسيني بعُمقٍ يُساوي مقدار ما أحمله لكِ من حنين
وما أجده بدونك من أنين، هل بهذا أجبت سؤالك اللعين؟

قبل ما تنامي بتفكري فيه؟

أول ما تصحي من نومك بتفتكرينه؟

قبل ما تقومي من على سريرك بتمسكي تليفونك

وتفتحي حسابه وتشوفي أخباره حتى بعد ما تحذفيه؟

كام مره شوفتيه؟ وقد إيه سمعتيه؟ وقد إيه كلمتيه؟ ضيعتيه!

اوعي تفتكري يوم إن الوقت في صالحك! أو معاكي!

لو كان ليكي حق فيه مدي إيدك قبل غيرك خُديه،

ابعتيله.. كلميه.. عرفيه إنك فعلًا بتحبيه،

مش مجرد إنك مشغوله بيه..

ومنهم كلهم اخطفيه

هتخسريه!

لي فيك أسرارٌ عني وعنك..
لا يعنيني أنْ يكتشفَها أحدٌ سِواك..
فكلُّ ما يشغلني دونِك، هو بقائي دومًا بقربِك..
وغايةُ ما أشتهيه معك، عِناقٌ بقوة، فهمسٌ برفقٍ، وحلمٌ عميق.

أُطيل النظر إليها.. فتتهمني بالصمت!
أجيد الاستماع لها.. فتتهمني بالغموض!
أسألها عن جميع أخبارها.. فتتهمني بالكتمان!
وهي لا تعلم أني صامتًا لأحفظ كل ملامحها بعقلي..
وسامعًا.. لأني مستمتعٌ بعفوية حديثها وطفولية محتواه..
ومتشوقًا لمعرفة كل ما فات عنها ربما لأني لا أشبع أبدًا منها..
استمري في اتهامي.. وسأستمر في رسم كل ما فيك بداخلي.

دعيني أُخبرك أنني لا أُريد مُحادثتك..
ولا أرغب في لقائك.. ولا حتى سماع أخبارك..
فلا تظهري لي صُدفة.. ولا تأتيني في حلمٍ ولا رؤيا..
ولا تُراجعيني في قراري هذا.. فأنا لن أسمح لنفسي بإدمانك..
ودعيني أُخبرك أيضًا سيدتي عن كَذِب الرجال..
هو ببساطة كل ما سبق.

ولأني رجُلٌ أعشق التميز..

عشقتك وحدكِ دون الأُخريات..

أنتِ لستِ متميزة بشيء مُحَددٍ..!

لأنك كلك ميزات عن كل من هُن حولك..

ورغم أني لا أعلم عدد ما فيكِ من ميزات؟

إلا أنني وجدتني زاهدًا فيهن كلهُن من دونك..!

وحرَّمت نفسي عليهن جميعًا، ووهَبتَني لكِ دون سِواك..

وها أنا بعد كل ما لاقيت زهدت نساء الكون واشتهيتك أنتِ!

فإن كنت صِرتُ لهن جميعًا حلمًا..؟ فها أنا لكِ أنتِ وحدكِ واقع..

عيشي فيه، وتمتعي به.. فقط أنا وأنتِ، وكل ما أجلت لكِ من حنين.

قِديسَتي..

أتعلمين ما هو سر قُدسيتك؟

إنه ما خاطب الحُب قلبًا إلا

وصار مُقدسًا..

وما لامس العشق جسدًا إلا وكان

على الذنوب محُرِّمًا،

فدعيني أُقدسك كيفما شئتُ..

بلمساتي قبل كلماتي.

كلما قررتُ الكتابة عَمَّ بداخلي إليكِ..
تتخفي حروفي المستثارةُ منكِ..
بألفِ تشبيه واستعارةٍ عنكِ..
فأرسلُها مُلتهبةً شوقًا بِك..
لضميرٍ مستترٍ تقديرُه أنتِ.

في الأزمااات..

وفي أوقاااات الشدَّة..

عندما تزداد الأمور حِدَّة..

وتصير الأيام فاترة وجاااادة..

وتتطور الأحداث وتصبح حاااادة..

لا أحتاج لقبيلة تُوازيني، ولا جَمْعٌ يُؤاخيني،

ولا جيش من الرجال يحميني، ولا غير ذلك يعتريني!

بل أحتاج حينها لامرأةٍ واااحدة، تكفيني..

أحتاجك يا من تظلين داخلي خاااالدة،

أحتاجك أيتها الرقيقة الصامدة..

سماعك لي.. اهتمامك بي،

خوفك عليَّ، لجوؤك إليَّ،

أحتاجك بحضني

لتعُدي العُدَّة.

معذورون..

يقولون تُحبه جدًّا..

ومنهم قال تعشقه بجنون..

مُغيبون.. لا تلتفتي يومًا لقولهم..

مهما قالوا دعيهم يقولون، إنَّا مستمرون..

أحبيني.. بقدر ما وجدتِ من حُبٍّ في كل العيون..

اعشقيني.. بحجم ما استشعرتِ من عشقٍ بهذا الكون..

فهم لا يعلمون.. أني أنا من علمتك الحب بسكون..

وأني أنا من لقنتك لغات العشق الأربعين..

وأني أنا من درَّبتك على كل الفنون..

فجعلتك تقولين "نعم" دون ظنون،

وترددين "حاضر" "أوامرك"

وهم حولك يسمعون..

فلا تُحديثهم عني..

ولا تُقربيهم معك مني..

فهم لن يستوعبوا أبدًا أني

أنا من كتب دستور العشق للعاشقين،

وأنا من ألَّفت وفصَّلت وأعددت لمواده القانون..!

الليلة، وقبل أن تنامي..

ارتدي أجمل ما لديكِ من ثياب..

تعطري بأرق العطور وأكثرها إثارة..

رتبي غرفتك، وبدلي ألوان سريرك ووسادتك..

لعلي آتيكِ في منامك.. فتنعمي بي وكأني بواقعك..

فأنا رجل حتى لو جئتك حُلمًا سأكون الأكثر تأثيرًا في يقظتك.

عندما تأتيني الليلة في منامي..
سأمسح على وجهك بكفي..
وأمسك يديك طويلًا..
وبلا رفقٍ أعانقك..
وهمسًا أُخبرك..
أن وجودك
بحياتي الرائعة بكِ
هو سببٌ كافٍ لسعادتي بها.

[**ألف**| نون| ألف| باء| عين| شين| قاف| كاف]

كما تشائين سيدتي اقرأيها..

وكيفما تُريدين معشوقتي اكتبيها..

فهي ما كتبت، وما قرأت، وما قِيلت، وما كانت..

إلا لكِ أنتِ وحدكِ دون غيرك، مني أنا وحدي دون سِواي.

سيدتي..

في حُلمي أنتِ لي..

وفي يقظتي أنتِ حُلمي..

وفي كليهما.. أنا لكِ أنتِ.

كل عام وأنتِ لي..

كل عام وأنتِ أطيب..

كل عام وأنتِ إليَّ أقرب..

كل عام وأنتِ للقلب أَحَبَب..

كل عام وأنتِ للعقل أَصحُّ وأَصْوَب..

كل عام وأنتِ للروح أشهى وللنفس أَرْحَب..

ولتعلمي سيدتي في عامك الجديد القادم معي،

أني ما عشقتك لأنك الأجمل.. رغم أنك حقًّا أجمل..

وأنني ما عشقتك لأنك الأفضل.. رغم أنك فعلًا أفضل..

وإنما عشقتك لأنك أنتِ، أنتِ وحَسْب.. بكل ما فيك أخْصَب..

كل عام وأنا مَعكِ، وأنا لكِ، يا نصف العقل، ونصف القلب، وكل الروح.

غايةُ ما يؤرقني معك..
شديد إحساسي بالمسئولية تجاهك!
وكأنكِ صِرتِ ابنةً لأب..
ما زال يُنفق عليك جُهدًا قبل المال،
وكأنكِ صِرتِ بنتًا لأُم..
ما زالت تُرضعك رعايةً قبل الغذاء،
وكأنكِ صِرتِ زوجةً لزوج..
تحتل المساحةَ الأوسَع فيه،
وكأني صِرتُ لكِ أبًا وأُمًّا..
زوجًا وابن..
يقظةً وحلم..!

أيتها المختلفةُ دومًا بكُل تفاصيلِها عن غيرِها..
لا تخشِ أبدًا بردًا في شِتاءٍ وأنا معك..
فما بَيْنَ الضِّلع والآخر تَسكُنينَ أنتِ..!

سيدتي..

هل تذكرين عندما احتد نقاشنا..

فاختلفنا فغضبتِ مني..

وبدأتِ بجمع ملابسك في حقيبتك..

فلما شعرت بالخطر.. وأحسست بالفزع لتركك

أقبلت عليكِ متأسفًا.. وسألتك ماذا تفعلين؟

فقلتِ مبتسمة.. أُدخل ملابس الشتاء لأُخرج ملابس الصيف!

كم أنتِ رقيقة أو ذكية.. حنونة معي رؤوفة بي.

يا امرأةً لم تنتظر في عيد الحب هديةً حمراء..
ألستُ أنا من جعلتك مختلفةً فيما تنتظرين؟
مُددًا كفايتك في انتظاري كل مساء..!
ألستُ أنا من علّمتك كيف لي تكونين..؟
فصَنعتُك أميرةً دون جَهدٍ منك أو عناء!
ألستُ أنا من حَرَّضَ عليكِ أنوثتك..
وأشعَلَ فيكي نيران ثورتك..
ولَبَّى إحساس أمومتك..
ومنحتك إلى جِواري البقاء..
فها أنا أهديك الحب في كل حين..
لا أهديه بيوم معين، ولا تاريخ مُحدَد..
أهديك شيئًا من رجولتي، كلما حان اللقاء.

وكلما احتضنتها من الخلف بغْتَة..

كلما زادت وجنتَاها حُمرَة..

وتعثّرت أنفاسها عَثرة..

وبدت عليها الغفوة..

تضاعفت دقات قلبها دقة تِلو دقة..

وتناثرت لؤلؤات عَرقها نقطةً بعد نقطة،

وازدادت فَتنةُ خَصرِها.. فتنةً على فتنة،

فلخجلها.. زاد ارتباكها.. وعَلَت تنهيداتها..!

مع أنني لم أقترب منها حينها سوى تلك الخطوة..!

عندما سألتني عن طعم الخمر وصفته لها..
قالت كيف تَصِفه ما لم تشرب أو تسكَر؟
فقلت ليس من ثمة فارقٍ بين الخمر،
وبين ما أجده بشفتيك وبه أشعر،
فكلاهما يُدمنه من يرتوي منه،
وكلاهما قد يُذهب العقل
وكلاهما قد يُسكِر..
وكلاهما بطعم التوت..
وكلاهما بعطر وريح المطر..
وكلاهما يحلو به اللهو والسهر..
وكلاهما يحتاجه الحزين القَلِق المتوتر..
وكلاهما يرغبه الفِرح المَرِح الفائز المنتَصِر..
إلا أن الخمر مُحرمٌ.. ولمس شفتيكِ عليه أُؤجَر!

لا تَمَلَّي من سؤالي عنك على مدار اليوم،
فهو فريضةٌ لا أستطيع إهمالها..
ولا تتعجبي من مراسلتك على مدار الساعة،
فهي سُنةٌ لا أُحب إغفالها.. فشعوري أنكِ أمانةً عندي،
هو عين التَديُّن، مهما كان ديني وقتها.

اطمئني سيدتي..

فلا يُقلقك كثرة الاتصالات مِنهُن..

ولا ترتابي من تعدد وتنوُّع صَدَاقاتي بِهن..

فلقد سَبق وحاولن كثيرات من جنسهن اقتناص مشاعري..

فاصطدمت رؤوسهن بأطراف قدمي،

وأنا مُعتَلي عرش أنوثتك، فاطمئني.

ليلتها سألتني..

لماذا تُطيل في الحضن،

وكأنك تترنح فيه، أو أنك به تسكَر؟

آه يا سائلتي لو أخبرتك عن سر حضنك

وعما فيه ألقى.. ومنه ما أجد.. وبه أستشعر..!

سخونة أنفاسك.. أم نعومة ملمسك..؟

رائحة عنقك.. أم دفء إحساسك؟

خمر الشفاه أذكر لكِ؟

أم حلو خجلك؟

لا لا.. لم ولن أصِف لكِ،

لن أُخبرك كيف هكذا أجدك..؟

لن أجيبك على ما مضى من أسئلتك!

لأظل أنهل وأرتوي، وأغرق وأطفو ببحر حضنك.

يا امرأة رفعت سقف مطالبي منهُنَّ إلى حَدِّ الاكتفاء..

فلا قبلكِ أحببت حقًّا..!

ولا معكِ تصنَّعت قَولًا أو فِعلًا..!

ولا بَعدكِ سأكون صالحًا أصلًا،

لعِشق أيٍ من النساء..!

أي شيء لم يكن يومًا ما
هدفًا في مقابلتك..
ولا محور حديثي مَعكِ..
ولا سبب اهتمامي بكِ..
ولا أصل قلقي عليكِ..
ولا دافع لانشغالي بأمركِ..
ولا مُحرك لتقديري لكِ..
ولا تذكير لدعائي بصلاتي إليكِ..
كل ما كان مني لم يكن يومًا كذلك..
بل كُنتِ أنتِ.. أنتِ وحسب..
الهدف لي، والمحور لحديثي،
والأصل في لقائك..
وسبب اشتياقك.

حاشاكِ أن تكوني فقط معشوقتي..
إنما أنتِ عالمٌ يحتويني..
فلا أشعرُ بنبضٍ إلا فيه..!

ما هي إلا..

مجرد امرأة

شطرتني نصفين!

نصفٌ يعيش معها..

والآخر يعيش لأجلها..!

فقد حيرتني بين أمرين..

تُرَى...! هل أنا أعشقها..؟

أم أني مولودٌ من رَحِمِها..؟!

من هي حتى أهيمَ بها حُلمَين؟!

فما هي إلا أيقونةُ شِعْرٍ كالجمر..

ما هي إلا خُصلات شَعْرٍ كالسِّحر..،

ما هي إلا شَفَتان سُكَّريَّتان كالتمر...،

ما هي إلا إنصاتٌ لي بأُذنين.. وبريقٍ بعينين..

ما هي إلا مجرد امرأة تجاوزت حدود الأنثى ببَلَدَين!

بحبك.. مش كلمة بتتقال في مقابلة ولا رسالة..

مش دبدوب أحمر ولا قلوب وبلالين بتطير..

مش أغاني ترددها من غير ما تِحسَّها!

بحبك.. دي عقد وعهد ووَعْد..

عقد بالمسؤولية..

وعهد على الصدق..

ووعد بالأمانة..

لو ما كنتش مسئول عنها..؟

وصادق معها..؟

وأمين عليها؟

يبقى كفاية عليك الدباديب..

وكفاية عليها البلالين..

وبس.\

أُشْهدكم أن لا امرأة غيرها

احتكرت معاني الأنوثة كلها..

وحَرَّضَت عليَّ رجولتي حينها..

ونَصَّبتني بنفسها مَلِكًا مُتوَّجًا عليها..

ووكلَتني لها قائمًا بأمرها، وسيدًا عندها..

ومنعتني جميع شرورها، ومنحتني كل خيراتها..

وآتتني كل ما اشتهيت فيها، وكل ما تمنيت منها..

وتصنَّعت التجارةَ، فوَهَبت نفسها لي، واغتنمتني وحدها..

فجعلتني لا أُبصر ولا أسمع ولا أُدركُ ولا أرغب في امرأةٍ دونها..

هل تسمحين لي سيدتي..

أن نُعيد ترتيب الحروف الأبجدية..

فليست كل الحروف تناسب امرأة مثلك،

ولا أرى في ذلك عيبًا وإن شابته العنصرية..

ما رأيك أن نبدأ بحروف اسمي ثم حروف اسمك..

ما رأيك أن تختصري كل لغتك في أربعة حروف جوهرية..

(ب، ح، ب، ك).. فأقرأها أنا خمسةٌ كما هي (أ، ع، ش، ق، ك)..

دعيني أُخبرك سيدتي..

إذا ما عاد الزمان بي سأُعيد اختيارك..

نعم، سأختارك مرةً أخرى.. وربما اخترتك مرتين..

وربما أكثر من ذلك.. فأظل أختارك ثم أختارك حتى أفنى..

سأختارك في كل مرة من جديد، وكأن الزمن يبدأ بكِ وينتهي عندكِ..

سأختارك مُضطرًا.. كأنه لا يوجد في الدُنيا امـرأة غيرك..

سأختارك مُرغمًا.. وكأنك سَحَرتِ لي أو سَرَحْتِ بي..

لن يتغير اختياري، بقدر اختيارك لي..

بأول لقاء بيننا بلا اختيار.

عندما يصير الإدمان أمرًا إيجابيًّا..

ويتحقق الاعتماد النفسي من أول لقاء..!

فلا عجب سيدتي من إدماني العميق لكل ما فيكِ..

واعتمادي الشديد على وجودك، أو بقاء وجود بعضٍ منكِ..

بدايةً مثلًا من تخيُّلي أناديكِ.. ومرورًا بعطرك يُلطِّف حجرتي..

أو صوتك همسًا يُحاكيني.. وانتهاءً بحضنك يحتويني..

إضافةً لظهور أعراض الانسحاب في غيابك..

فلن أحاول الإقلاع يومًا ما عن إدمانك..

أو التعافي منه بإنهاء اعتمادك..

فأنا يا أفيونتي أضعف بكثير من تحمل أعراض انسحابك!

سيدتي

أخبرتُكِ من قبل،

أن أناقة الرجُل تزداد حينما

يرتدي قميصًا أزرق وبنطالًا بيج..

سيدي

وأنا أخبرتُكَ من قبل أيضًا..

أن خزانة ملابسك بكل ما فيها ملكك،

وأنك أنت بكل ما تملك، ملكي أنا وحدي!

حاضر.. إنها ديكتاتورية النساء.. وإنكِ ديكتاتورة حياتي!

سألتني ببراءة.. أتُعالِج المجانين أنت؟

نعم سيدتي، أعالجهم من الجنون.. إلا أني

بكِ أنتِ وحدكِ، ودون وعي تام مِني قد جُننت!

وكيف لي ألا أُجن بكِ؟ وما خُلقَ الجنون إلا لكِ..!

وكيف لي ألا أتذكركِ..؟ ولم يبق بالذاكرة إلا أنتِ..!

وكيف لي ألا أحن إليكِ..؟ وقد أخذتِ الشوق كله ورحلتِ!

وكيف لي لا أكتب عنك..؟ والحروف لم تتلاق عناقًا إلا لأجلك!

لماذا سيدتي..؟

لماذا أنتِ وحدكِ من تملكين رغبتي؟

لماذا أنتِ دون سواكِ من تحتكرين شهوتي؟

لماذا تكون مجرد رؤية ابتسامتكِ كافية لفرحتي..؟

لماذا يكون وجودك سر سعادتي؟ وغيابك فيه تعاستي..؟

لماذا رضاؤك فيه راحتي؟ وغضبك يأتي معه يأسي وشقاوتي؟

لماذا بمجرد احتضانك تخور قواي، وتنهار كبريائي وتظهر طفولتي؟

الإجابة عندك أنتِ سيدتي عن كل ما سبق، وكل ما لم يأتِ..!

يا واحة البوح بكل ألم أشعر به، ولا يعلمه أحد غيري!

يا محراب الاعتراف بذنب اقترفته ولم أُعلِمه غيرك!

يا وادي الشوق والحب والحنان والجنان..!

يا أمل لكل ألم.. ومغفرة لكل ذنب..

يا امرأة الاستثناء بكل ما فيكِ من ثناء،

يا تاريخي المؤلم دونك، وحاضري المشرق معك..

يا مستقبلي الذي لم أرسم فيه خطوة واحدة إلا بك..

يا كل الحكمة التي تحليت بها، وكل الصبر الذي تخطيت به،

يا كل القوة التي تمتعت بها بجوارك، وكل ضعف حل بي بعدك..

يا كل العيوب التي ظهرت مِني، وكل عيب لي ستره ربي!

يا إبليسة حرضتني على اقتراف كل الذنوب لأجلها،

يا قديسة، لم أرَ عليها يومًا أثر أي ذنب لها..!

يا ساحرة الجن ومسحورة العشق والرهبان

يا أسطورة الفراعين والرومان واليونان

هذه يا سيدتي إجابتي..!

فأين هي إجابتك؟

هو: طول عمري منتظرها..

أخلص يومي بدري عشان أرجعلها،

أسافر كل بلد في الدنيا معاها وعشانها،

أكون دايما جنبها، أنسيها أصحابها وأهلها،

بنفسي أذاكر لها، وقبل ما تنام لمذاكرتها أسمَّع لها،

أخطفها من كل اللي حواليها، ومني فدية كبيرة أطلب لها،

أحوَّط عليها في بيتي، وأحفظها من أي سوء يمسَّها،

أحكيلها يومها عن كل حاجة عني يامَا أجلتها،

أسألها، أطلب مشورتها، دايمًا ألجألها،

أزعلها أضايقها، وأصالحها بعدها،

أسيبهم، وأكون ليها وحدها،

هي: أيوه بس المفروض

يكون لي مساحة خاصة ليا!

وبعدين فين حياتي أنا في كل ده؟

وفي واحدة هتقدر تتحمل كده كل ده..؟

هو، رجل مجرد من النوع.. هي، مجرد أنثى نوع!

هو، صفات مسئولة عنها.. هي، مسئولة بس عن نوعها!

ليلتها سألتني..

لماذا أنت صامتٌ هكذا؟

قلت الصمت بحرم الجمال أخيَر..

ولماذا تنظر لي مبتسمًا؟

قلت التبسم لوجهٍ بالنور ينضُر..

قالت ألا تشرب كأسًا؟

أنتِ نبيذي الفاخر المُقطَّر..

ألا تحتسي الخمر أبدًا؟

أنتِ خمري المعتق المُسكِر..

ألا ترغب في رقص النساء؟

أنتِ النساء وغيرك لا يُذكر..

ألا تُروِّح عن نفسك يومًا؟

أنتِ راحتي وفِي عينك أبحُر..

ألا تُفتن مثلًا؟!

أنتِ فتنتي التي عليها أُؤجَر..

أليس لكَ نقاط ضعف؟

أنتِ نقطة ضعفي وبها أشعُر..

ما هي نقاط قوتك؟

أنتِ قوتي وراحلتي بالسفر..

أتُحب السفر جوًّا أم بحرًا أم برًّا؟

أنتِ سحابة ظلالي وأمطاري

إذا ما كنت بالجو أنظر..
وأنتِ سفينة شوقي وأشعاري
إذا ما كنت بالبحر أُبحِر..
وأنتِ غاية زادي وزوَّادي
إذا ما كنت بالبر أظهر..
أتُحب المرأة للحب يا نفساني؟
أم أنك للشهوة والرغبة تُنكر؟!!
يا عزيزتي
النفساني رجُل..
وكل الرجال بالرغبة تشعُر..
وقليل مِن الرجال مَن للمرأة يُشعِر..
إذن ما هي رغبتك وأين شهواتك؟!
أنتِ شهوتي على مدار الأشهر..
وملاذ رغباتي التي إليها أرحل..
أنتِ المرأة، والشهوة، والرغبة،
أنتِ الحكمة، والفطنة، والقدرة،
أنتِ الكون بكل ما فيه ظاهر لي،
وكل ما فيه مخفي عني،
أنتِ امرأتي..
وبعدكِ لا شيء يُذكر.

ولتعلمي سيدتي شيئًا عنك
أنني في نفسي تخيَّلتك
ولنفسي قد اصطفيتك
وبنفسي صَنَعتُك
ولي أنا أبقيتك
فمن مِثلي..
ومن مثلك؟
لن أتركك
فلأجلي أتيتك
وبداخلي أسكنتُكِ
ولي فيكِ فلن أغادرك
ولقربك مني.. سأظل بقربك!
سأكون أنا صاحب أمرك
وتكونين لي ما أملك
بل أغلى ما أملك
أمتلك نفسكِ
وجسدكِ..
جميع ما بكِ
خصلات شَعركِ
إلى أطراف أظفاركِ
من بدايتكِ، إلى نهايتكِ
أحاسيسكِ ومشاعركِ، كُلَّكِ..
تلك هي سيدتي أنانية الرجال!

وستعلم نساء الأرض جميعًا من أنتِ..
حينما يتدبرن لحظةً لماذا أنا اخترتُكِ..
فما كان اختياري هذا لكِ صُدفةً..
وما كان إصراري عليكِ عَبَثًا..
وما كان شغفي بكِ شهوةً..
وما كان حِرصِي طمعًا..
ولكني اخترتُك قاصِدًا..
ليس لوجهٍ استبشرته..!
ولا لجسدٍ استَحْسَنته..!
ولا لحديثٍ منكِ أحببته..!
ولا لثناءٍ عنكِ وشكرٍ سَمِعْتَه..!
ولا لترشيحٍ ممن هم حولكِ قَبلتَه..!
وإنما أنا اخترتُكِ لقلبٍ قد استشعرته..
فصِرتُ لا أشعر بنبضٍ إلا إذا احتضته.

- **مرحبًا** سيدي..

طال غيابك وطال شوقي إليك..

انتظرتك لنعيش تلك اللحظات من الجنون..

يا رجُلًا قتلتني ببعده عني، وبقربه مِني أحياني..

يا رجُلًا أضحكني برؤيته، وبلقائه العنيف العميق أبكاني..

يا رجُلًا جعلني لا أرى رجُلًا غيره ولا أسمع سواه طيلة زماني..

= كفى سيدتي..

ولتقتربي مِني أكثر..

ولتكوني هنا بحضني أكثر..

ولتسمحي لي باقتحامك من جديد..

فها أنا جئتك بلهفة ورغبة ورهبة تملأ أركاني..

أنا الذي قديمًا حطمت أسوار خجلك مقتحمًا أنوثتك..

وأنا الذي لأجلكِ وضعت كل النساء غيرك في طيَّات نسياني..

وأنا الذي أضحكتك، وأبكيتك، وأمَتك، وأحييتك، ولنفسي اصطفيتك..

فدعيني من حديث بحروف وكلمات، ولتُكملي حديثك بصيحات الانتصارات.

يا جَسدًا مَلَكْتَه..

وقلبًا تَملَّكتَه..

وروحًا أَسرَتَها بوجداني..

يا سَكْرتي.. وخَمري المُعتَّق..

يا لذَّةً.. تَسري سِرًّا بشُياني..

يا نشوةً بجنونِ تستبيحِ أركاني..

تعالي، اقتربي مني، التَحِمي بي..

فها هي دعوةٌ لتَنزلي بِبُركاني..

يتوقف بها حديثٌ تقليدي لأُذُنيكِ..

لنُكملَ حديثنا المُنتظَرَ شَهيقًا وزَفيرًا.

- سيدي..

لقد اشتقت لك..

اشتقت لضعفي معك..

اشتقت لانهياري بين يديك..

اشتقت لبُكائي دامعةً بحضنك..

اشتقت لبشرتي لامعةً بعد لمستك..

اشتقت لملابسي ممزقة منك إثر فعلتك..

اشتقت لصيحاتي التي أُرددها استغاثة منك..

= سيدتي..

أجلي كل ذلك الاشتياق وأكثر، حتى تنعمي بما أكثر..

تنعمي بي، ومعي، ولي، نائمة بحضني، باكية على صَدْرِي..

مطمئنة بين يديَّ، مُعتمدة عليَّ، راغبة فيَّ، مستكفية بي.. وحسب.

سيدتي..

دعيني أقتربْ منكِ كيفما أريد..

فأنتِ حقًّا نوعٌ من النساء فريد..

وأنا رجُل إذا قال أُريد..

فحتمًا سيفعل ما يُريد.

سيدتي..

هل سمعتِ يومًا

عن سياسة الاستعمار..

ذلك ما سأفعله بخصوص أنوثتك..

وسأسعى أيضًا للاستيطان بجميع أركانك..

فأنا رجُلٌ أعلم أنك لن تسعدي بالحرية خارج حضني.

سيدتي المُترَقِّبة..

عندما تُغلق الأبوابُ..

ستكونين رهينةً عندي..

كما عهدتُك، بكاملِ أنوثتِك..

فأُعاملك كالأميراتِ لا الرهائنِ..

بهدوئي وعنفواني، برقتي ووحشيتي..

لتظلي.. أميرةً في قصري، رهينةً بحُضْني

ليلتها، وهي بحُضني..
أقسَمَتْ لي أنها تعشقني..
فأخبرتها أني بعِشقها لي أعلم..
فسألتني: أغرور أعلَمَك بشديد عشقي،
أم ثقةٌ من معشوقٍ في إخلاصي وصدقي؟
فأجبتها: كيف لرجلٍ، كان من كان بين الرجال،
أن يدخل قلبًا مَلَكْتَه أنا، فترَبعتُ فيه واستربعت..؟!
وكيف يكون لرجل غيري.. كان من كان بين الرجال..
أن يلمس جسدًا تَملَّكته أنا، فأزهَرْتُ فيه الزهور وأينَعْت؟!

سيدتي..

في لحظةٍ ما..

سأحتلُّ جميعَ قِلاع أنوثتك..

فأنا رجلٌ أسقطُ راياتِ خوفك وخجلِك.. ليُعلنَ فتوحاتِه.

دعيني أُخبركِ سيدتي..

أنه إذا ما حَان وقتُ لقائي بكِ..

فلن يَحكمُ لقاؤنا هذا إلا قانوني..

ولن تَصيرَ بيننا لغةٌ غيرَ لُغَتي..

فلا نُمارسَ الحُبَّ إلا بفلسفتِي..

ولا تستنشِقى أبدًا سِوَى عِطرِي..

ولا تُنصِتي شَغَفًا إلا لكلماتي عنكِ..

ولا ترى عيناكِ في اهتماماتي إلا أنتِ..

فلِذا كانت فيكِ ثقتي، ولذلك بي وَثَقْتي.. وهكذا

لن تنعمي بوطنٍ سِوى ما أعددته لكِ داخل حُضني.

سيدتي..

أناديكِ أنتِ..

لأخبرك بشيء عنكِ،

وهو أني لم أركِ يومًا

أجمل من رأيت بهذا الكون..

ولا وجدتك ليلة أحلى امرأة بتلك الدنيا..

ولا كُنتِ حتى أفضل النساء بينهن آنذاك..!

بل رأيتك الكون كله، كل ما فيه جميل..

ووجدتك امرأة توازي الدنيا كلها..

كل ما فيها ضروري وجوده..

وكُنتِ متجددة بكل ليلة،

فكنتُ وما زلت وسأظل

لا أرى من النساء غيرك أنتِ!

فلو لم تكوني فيَّ كوني كما كُنتِ؟

ولو لم تُضيئي كل دُنياي كما أضأتِ؟

ولو لم تجذبيني من بينهن كلهن كما جذبتِ؟

ولو لم تكوني أنتِ؟ بكل ما فيكِ وحدكِ؟

كنت اكتفيت بكِ وإن لم أجدك..!

كنت اعتكفت في محرابي،

واسترجعتك من كتابي،

ومارست تأملاتي..

واكتفيت بكِ..

وتخيلتك!

سيدتي المُتشَوِّقَةُ للقائي..

المُتخوِّفةُ القَلِقَةُ دومًا من أدائي،

هل يكيفك لقاؤنا بعد طول غياب؟

أم يُقلقك ما سينجم عن هذا اللقاء؟

دعيني أُطمئنك، أنه لن يحدث أكثر

من أنني سأخلع عنك كل ثياب الخجل،

وأنتزع منكِ كل تفاصيل الخوف والقلق..

لأُعطّر جسدك بعدها بشهيقي وزفيري..

مُلقيًا بكِ فوق ذلك الواقع إلى ما هو أبعد..

إلى أبعاد أنوثتك، وجذور رغبتك، إلى أعماقك..

ممُارسًا طقوسي القهرية المعتادة معكِ آنذاك..

فأظل أرسم وأكتب بأظفاري على ذلك الجسد الرطب،

تارةً أكتبُ اسمي.. وتارةً أكتبُ اسمك.. وتارةً أحرفهما..

وتارةً أمحو ما كتبت ورسمت بترياق لساني.. حتى تهدئي..

فإذا ما التأمت آثار كتاباتي، عاودت الكتابةً والرسم من جديد..

فهل في ذلك ما يُثير مخاوفك..؟ وهل فيما سبق ما يدعو لقلقك..؟!

سيدتي المُعاتبة..

لمَ تُعاتبيني على غيابي؟

ألم تستنشقي عطري حولك..

ألم تتحسسي أنفاسي نحوك..

ألم تتلمسي أناملي تتخلل شَعرك..

ألم تستشعري مرور جسدي بجسدك..

ألم تتذكري كل ما كان مِني طيلة ليالٍ لأجلك..

ألم تتذوقي لذة النشوة بمجرد وجودي إلى جوارك..

ألم أحيِي فيكِ من جديدٍ كل ما كان اختفى من أنوثتك..

ألم أحررك قديمًا دون أدنى ألمٍ يُذكر من قَيد عُذريتك..؟

أعلم أن إجابتك هي نعم.. ولا أعلم لماذا عتابك لي الآن..؟!

سيدتي.. إذا ما حَان لقاؤنا المُنتظر..
فكوني فيه كما اشتهيتُك دون استثناء..
مُستسلمة لي.. مُستمسكة بي.. بِلا عَناء،
ولتتركيني حينها لأقتحمك بقوةٍ كما أشاء..
حتى تعلمي كيف تصير الأحاسيس أشياء..
وكيف تُصبح تلك الأشياء بعد ليلتها، أشلاء..
فما يفصل العقل عن الجنون سِوى لحظة نِداء،
تكونين فيها غارقةً.. مستغيثةً.. تتوسل بالرجاء،
لتُخبري بعد ليلتنا عني.. كل من يلقاكِ دوني..
كيف بين ملوك الرجال وأميرات النساء يكون اللقاء.

سيدتي.. لا تُناديني..

فإني قريب منكِ يا امرأة بعيدة..

قريب منكِ أيتها الخجولة الملولة العنيدة..

قريب منكِ يا من اختزلت فيكِ الكلمات والأشعار،

وسافرت لأجلك الأميال والأمتار، مُختزلًا رغبات عديدة..

قريب منكِ يا من احتفظت لها بالسوطِ والأحبال والأصوات،

وأعددت لها من الخمر والنبيذ ما يمحو الآثار ويطمس الآهات،

وأجلت لها الأشواق والعناق، وكل ما شعرت به واستشعرته بالفراق..

وأتيتها، بكل ما أُوتيت من رغبةٍ فيها، رغبةً لن تكفي لوصفها

كلمات مديدة.

سيعذرونني حقًّا.. لو علم
الناس شيئًا عن حقيقة سيدتي!
إذا ما سألوني يومًا عنكِ يا امرأتي..
ماذا أقـول في امــرأةٍ مُذنبـةٍ في حقـي..؟
خطفتني، ومن بين كل الرجال حولها اختارتني!
جذبتني.. حتى إنهم قالـوا لي عنها، إنها سحرتني!
هزَمتني.. وأنا من استقبلت عشرات النساء في مملكتي!
دعيني وشأني.. يا امرأةً احترفت جريمة الخطـف فأَسَرَتنـي!
اذهبـي عن عقلـي.. أيتها السارقة، يا من سرقتِ قلبي رغمًا عني؟
اغرُبي عن عيني.. أيتها الماكرة، من تمَكَّرت واستمكرت فاحتلت ذهني؟
أبعدي صوتك عني.. أيتها الغانية، المُغَنِّيَة بألحان المَكر في أذني!
غادري مُخيِّلتي.. أيتها الراقصة، مَن تراقصت على جسدي؟
اترُكي مملكتي.. أيتها العاهرة، مَن كَسوتها بمشاعري؟
اتركيني وارحلي، ولا تظهري لي ولو صدفةً بيومي،
ارحلي صامتة.. ولا تأتيني حتى في حُلمي..
كفاكِ جُرمًا أنكِ اسَتوطَنتِ في نفسي
وكفاني حقًّا ما فُزتِ به أنـتِ مِنِّي..!
كفاني نصرًا أن تخلصت منكِ.

سيدتي..

يا من توجتُك أميرة

على عرش مشاعري..

وأسكنتُك دائمةً بين أوردتي..

وأهديتك إحساس الفرح في زمن البكاء..

وساعدتك تطوين دموع الشوق في حضور الغرباء..

وعلمتُكِ كيف تنطق شفاهكِ كلماتٍ صادقةً عند كل نداء..

"أوامرك.. سيدي ومولاي.." دون أدنى نفاقٍ أو شُبهة رياء.

قالوا لي

يوم المرأة ..!

وهل يكفي يومٌ لامرأتي؟

يا يومي الثامن في أسبوعي..

يا شهري الثالث عشر من عامي..

يا ساعتي الخامسة والعشرين في يومي..

يا ثانيتي السبعين، لدقيقتي السبعين من وقتي..

يا عُنصرًا مِنِّي مُختلفًا عني.. وشوقًا يأتي مُتلهفًا عندي..

يا عُمرًا على عمري، وجهدًا على جهدي، وقلبًا استوطن في نفسي!

يا أمي وأختي، زوجتي وابنتي، يا ريحانتي وأم أزهاري..

يا امرأةً عشقتك لا لأنوثتك! وإنما لكيانك بوجداني..

يا طفلةً أدمنتك، أدمنت شقاوةً تُداعب أركاني،

يا صاحبة فضلٍ ورفيقة دربي وحناني،

يا مِنِّي، كأنكِ صِرتِ كُرات دم ثالثة

تجري مجرى الدم بِشرياني.

فهل يكفي يومًا لامرأتي؟

قولي لهم لن يكفي.

خلال استراحة الفاتح لتلك الأنثى المنغلقة..
تلك المرأة قليلة الخبرة، كثيرة الرغبة،
سألتها: أي الألحان تُحبين؟
فصمتت، ولم تُجب!
ولما كررت السؤال عليها..
أجابت خجلًا: تلك التي تعزفها أنت
على أوتار عُنقي مستخدمًا لسانك وشفتيك..
قلتُ لها إذن هي الحرب ولنستكمل ملحمة الحب.

هل تذكرين سيدتي..

في مثل هذا اليوم الحار..

هناك، في رُكنٍ من ذلك الشط..

حينما خلعتُ عنك ثيابك فوق الرمل..

وألبستك ما اشتريتُ لكِ من ثياب البحر..

وأنزلتكِ شبه مُرغمة خجلًا إلى الماء بالأمر..

أذكر رعشتك المفاجِئةَ حينها رغم شِدَّة الجو الحر..

أذكر اقترابي منكِ بعدها، أتحسَّسك قبل أمواج البحر..

أذكر إزالتي لبقايا تلك الرمال عن جسدك في سهولة ويُسر..

بادئًا في فحص أجزائك.. ناسيًا كل من هم حولي دونكِ..

ماحيًا لآثار تلك الرعشة منك باحتضانك تحت الشمس،

قائمًا بضَمِّك حتى سمِعت "طقطقة" الظَّهْر..

ثم بدأت عملية الفحص، فابتدأتُ بالفَصّ..

فَصّ اللؤلؤ من الشفاه ناعمة الحِس..

ثم بفحص تلك الشجرة.. أقصد تلك

الرقبة.. الفارعة الطارحة لثَمار اللُّوز..

والتقيتهما.. ثمرتين يانعتين كحبات الجَوز..

فاحتضنتهما.. فإذا بالرعشة زادت بعد اللمس..

وهنا تذكرتني وأنا جنينٌ، يُداعب بطن أمه في الفجر..

فعضعضتُ بطنك، بدغدغةٍ تُذهِب عن جلدك ملوحة البحر..

ثم قررت فِعل المزيد، وشرعت في الفحص من جديد..

ولكني غيَّرت اتجاهِي، وبدأت من حيث الوليد..

فنزلتُ نحو أجِنَّتي، وزرعتُ فيهم محبتي..

فجعلتك قبلةَ لذتي، وراهبة شهوتي..

وأتيتك فيكِ راغبًا، بكامل قوتي..

فصرختِ صرخةً أنسَتْني أنني

فعلتُ بكِ ما فعلت ونحن بماء البحر!

فأخذتُ حِذرَنا واحتويتك مُلملمًا أمرنا..

هل تذكرين سيدتي؟ أعلم أنكِ لم تنسهِ يومًا

ولن تنسيه أبدًا.. وستظلين تذكرينه بكل يوم حَرٍّ..

واعذري كتابتي عَمَّا كان، فذكراي بداخلي كالجمر..

حتى أُعيد ذلك كله تفصيلًا عند الشاطئ بالأمر..

وأُحدث فيكِ، ولكِ، كل ما كان وقتها من خير..

فأخلعُ عنكِ ثيابًا.. وأُلبسكِ غيرها ثيابًا..

وأنَزِلُ بكِ ماءً.. وأُنزِل بكِ ماءً..

وأفحص جسدًا.. وأملك نفسًا..

وأنسى أننا سنكون بالبحر!

سيدتي المرتعشةَ بردًا..

هل تذكرين ليلتَنا المعهودة..؟

كانت أشدَّ برودةً من هذه الليلة..

حينها أقبلتُ عليكِ بكل تفاصيلِ الجنونِ..

فبدونكِ، أنا بُركانٌ خامدٌ يتظاهرُ بالسكونِ..

ليلتها سَيَّرت جنودي إليكِ لأُعلنَ ثورتي وأكونَ..

مُكبِّلًا جموحِك مُرَتِّلًا في محرابك بتراتيلي الخاصة..

لتهدأَ روحك بانتصار ثورتي، وتعلو صيحاتُ الدِّفءِ بعناقِي..

هل تذكرين..؟ أعلمُ أنكِ أبدًا لن تَنسي.. وكيف لكِ أن تَنسي.. !

من قال لكِ إني أفتقدك..؟

كل ما هنالك أنني فقط أشتاقك..

أشتاق لضعفك حينما ألقاكِ وأحتضنك..

أشتاق لذكورتي عندما بعنفٍ جارفٍ تُلقِّح أنوثتك..

أشتاق لرجولتي في وجودي تحميكِ، وفي غيابي تحتويكِ..

أشتاق لكِ دومًا دون سببٍ واضحٍ، وبلا عِلةٍ ظاهرةٍ، ولا أي شيء!

سوى أني فقط أشتاقك.. فكيف لي رغم كل ذلك وأكثر أن أفتقدك..؟!

في مثل ذلك اليوم شديد البرودة..
هناك برُكنٍ دافئ تحت بقايا أشعة الشمس..
كُنتِ دائمة النظر إليَّ، شديدة التدقيق بعيني..!
وسألتيني يومها، لمَ لا تنظر إليَّ؟ ألا تعجبك ملامحي؟
في الواقع لم أحمل هَمَّ الرد.. يا امرأة بُعدي عنكِ مرض..
وقربي منك عَرَض، لمزيدٍ ومزيجٍ من التوتر والأرق..
كنت أعلم حينها أسفًا أنكِ لستِ باقيةً معي..
محاولًا ألمًا أن أحفظ ملامحك بداخلي..
وكنت مشغولًا دومًا بذلك اليوم..
يومٌ أفتقدك فيه رغمًا عنكِ وعني..
وأذهب لنفس المكان دونك بعدها وحدي..
وأطرح سؤالًا.. لا أطيق إجابته.. لماذا رحلتِ؟
لم أقصد يومها أن أصرف نظري عنكِ.. بل كُنتُ أحفظ
منكِ ما يمكنني أن أكتفي به عنكِ.. إلا أنني لم أستطع ذلك!

يا امـرأة

عجيب أمـرك!

كيف لكِ تتلونين؟

فبينما أنتِ بين يَديَّ..

أراكِ طفلـةً رقيقـةً حائرةً،

أهمس بأُذنيـك.. فترقصـين..

ألمس جَسدك.. فخجلًا تبتسمـين..

أُقَبِّــلِك.. فإذا بكِ صِرتِ نارًا تشتعلين..

أقترب منك فتقتربين أكثر مني ولا تُمانعين..

أحتضنك.. فأراكِ تنسابين كالملح بالماء تذوبـين..

أُقْدُمُ عليكِ.. فإذا بكِ فَرَحًا تُهللين ثم ألمًا تستغيثـين!

ألستِ أنـتِ من لي- دون سِواي من الرجـال- تطلبــين؟!

تَعَجَّبتُ حين قرأت رسائلك..

كيف تفتقدينني وشوقًا تُراسلينني..

ألم أترك لكِ فيكِ ما يكفي ليُذكرك بي..

ألا تَزَال آثار زيارتي الأخيرة لأركانك باقية!

حينما كانت أناملي تتَحسَّسُك بعُنفٍ ورِفق..

لتنساب كالسيل الجارف على الأرض العطشى..

إذن، فلتعلمي أنه إذا ما كان كل شيء قابلًا للمحو..

فلن ينطبق ذلك على بصماتي حين أطبعها على جسدك.

عُذرًا سيدتي.. أبدًا لن أُغادرك..
فأنا رجُلٌ.. استوطَنَ في كل كيانك..
امتلكتك بكل ما فيكِ، امتلكتُ وجدانك..
تملكتك بكل تفاصيلك، تملكتُ حتى أركانك..
اقتحمتك، فبعثرتك، ثم لملمتك ثانيةً باحتضانك..
اخترقتك، وبهدوءٍ عنيفٍ قد تجاوزت حدود عُذريتك..
اعتليتك فاتِحًا.. رافعًا راياتي.. مُعتليًا عرش أنوثتك..
فاستبشرتُ النصر بصيحاتك، وحصدتُ نصري بعناقك..
وأقمت حفلًا لانتصاري هذا.. ونقشت اسمي على جسدك..
فها أنا يا سيدتي صِرتُ سَيدك.. وبمملكتي الخاصة قد أَسَرْتك..
لتظلي بحضني إلى الأبد، أسيرةً عندي.. ملكةً بمملكتي ومملكتك.

ليلتها سألتني..

لماذا العنف في اللقاء..؟!

فأجبتها: إنكِ أنتِ السبب يا عذراء..

رائحة جسدك تُناديني التهمني يا جوزاء..

نبيذ شفتيكِ يُثير اشتياقي.. شاربًا منه آكلًا لهما،

غير مُبالٍ بما سيتركه ذلك من أثرٍ أو ما يُحدثه من عناء..

ثيابك الكاملة الطويلة غير الشفافة التي تتوسلني أن أُمزقها،

فلا يحجب لمس جسدك عني غير بعض تلك القطع القليلة الباقية،

التي سرعان ما تزول وحدها، وتذوب بيننا دون أدنى جهد منا أو شقاء..

حينها فقط.. أعدكُ ألا أكون عنيفًا، إلا إذا وجدت ما يستحق العنف ويُتيح الهناء..

واطمئني أيتها العذراء، فكل ما سأجده عندك سيدفعني دفعًا للاستمرار بكل ما سبق،

من أكلٍ منكِ، وشُربٍ لكِ، وغوصٍ فيكِ، مُستعمرًا لأنوثتك، مُحتلًا لأركانكِ، مُعلنًا الحق في البقاء.

يزعمون أني أهملتكِ..!

وأني دومًا مُنشغلًا عنكِ..!

وأني تركتك وحدك وما قَدَّرتكِ..!

يقولون إني ما تحملتك ولا احتويتك!

حَدِّثيهم عني وعما لاقيته من أجلك..

أخبريهم أنني حقًّا في البداية قد انتقدتك..

وأني أخبرتك حينها أن انتقادي لكِ كان لنفعك..

وأنه ما كان كل ذلك مني إلا قلقًا وخوفًا على نفسك..

أعلميهم.. أني أنا الذي لفنون علاقتنا الخاصة علَّمْتك..

وأني أنا الذي من عُذريتك قد فطَمتك، ومن رجولتي أطعمتك..

فكنتِ تنامين بحضني لأُثيبك على أدائك، وعلى تقصيرك كنت أُعنِّفكِ..

وما كان التعنيف سوى هجرك، فزرعتُ فيكِ أن هجري لكِ هو أكثر ما يؤلمك.

سيدتي..

أعلمُ أنك فراشة حياتي..

إلا أنَّ خفقة جناحيك تصنع إعصارًا بداخلي..!

ذلك قدرُك في نفسي.. فاهدئي واستكيني، وإلا قصصت جناحاتك.

شِتاء سيأتيكِ دون وجودي بجانبِك..
وسَقيعٌ يتخللُ جسدَك لا تُدفئُه أنفاسي حولك..
نهارٌ قصيرٌ، وليالٍ طِوال، أيامٌ ستزيد فيها معاناتُك..
نعم، ستستمرُّ روايتُك المثيرةُ للشفقةِ بدوني بطل لها..
لتصيرَ حياتُك أروعَ ما فيها ذِكراي، حياةٌ أُكسجينها قاتلٌ.

إذا ما سألوني عنكِ..

سأُجيبهم.. ما أنتِ سِوى مُجرد امرأة..

اسَتوطَنت القَلب، فبعثرت النبض، وأبهرَت العقل،

ورافقت الروح..! فهل لي بتلك الإجابة أن أبوح..؟

أتعلمين سيدتي من ذا الذي بهواكِ مفتونًا؟
أنا العقلاني والشهواني عاشقًا ومعشوقًا..
أعيش بروح قديسٍ ليتهموني فيكِ زنديقًا..
فحينما أعشق امرأةً تصير لدي ترياقي!

هل تعلمين سيدتي..

أن كل ما ركزت عليه حصلت عليه..

حتى أنتِ..

وأن كل ما خشيت منه تحقق..

حتى رحيلك!

فقبل لقائك كثيرًا ما صَلَّيتُ لله أن تكوني..

وعندما كُنتِ..

كثيرًا ما دعوْت الله أن تبقي..

وعندما بقيتِ..

كثيرًا ما خشيتُ أن تتألمي..

وعندما تألمتِ..

كثيرًا ما دعوتُ الله ألا ترحلي..

وعندما رحلتِ..

كثيرًا ما دعوته مرارًا أن تعودي..

حتى حلُمتُ ذات ليلةً أنك عُدتِ

ثم استيقظتُ ولم أجدك..!

ورغم ذلك لم أفقد الأمل بعد،

ولن أفقده أبدًا في أن تعودي.

هل تعلمين سيدتي..

أنكِ وحدكِ من صنعتِ تاريخ النساء..

وأنكِ وحدكِ من محوتِ تاريخي من أول لقاء..

وأنكِ وحدكِ من زرعتِ بداخلي الرغبة في البقاء..

وأنك وحدكِ من جعلتني أُحب البرد وأعشق الشتاء..

وأنكِ وحدكِ من احتلت ذاكرتي بما فيها من فرح وبكاء..

وأنكِ وحدكِ من ملكتِ عجلة الزمن وعُدتِ بي شبابًا إلى الوراء..

هل تعلمين سيدتي أنني كثيرًا ما أحسد نفسي ثم أفيق لأحمد ربي أن جعل بنصيبي لقاء امرأةٍ خاصة.. حضرت بداخلي رغم غيابها عني.. وجمعت في حضورها وقت ما كانت حاضرة حلو الصفات من بين كل النساء.

هل تعلمين سيدتي..
أنني أراكِ دومًا حاضرة
أراكِ في وجوه الناس ظاهرة
في ملامح طفلة طاهرة
في شقوق عجوز قادرة
أراكِ في كل خير أراه باقية!

هل تعلمين سيدتي..

أنني في كل لحظات وحدتي..

خوفي وثباتي،

حزني وسعادتي،

ألمي ومُتعتي،

ضعفي وقوتي،

مَلَلي وشغفي..

لا أتذكر أحد..

ولا أفكر بأحد..

ولا أحتاج لأحد..

إلا أنتِ.. فقط..

أنتِ وحسب سيدتي!

هل تعلمين سيدتي..

أنه في الصِعاب والشدائد

قد يحتاج الرجل لامرأة واحدة..

أكثر مما يحتاج لجيش من الرجال!

ولذلك.. لم أحتج في شِدَّتي إلا أنتِ.

هل تعلمين سيدتي..
أنني في غيابك عني
افتقدتني..
ولم أجدني..!
فما أكون أنا؟
إن لم تكوني أنتِ!

هل تعلمين سيدتي..

أنني دائمًا ما

أخاف منك جدًّا..

وأخاف عليكِ جدًّا جدًّا..

وأغار عليك جدًّا جدًّا جدًّا..

مهما كُنتُ بعيدًا عنكِ أو قريبًا منكِ..

فأعود سريعًا إليكِ بعدها قريبًا أكثر جدًّا..

هل تعلمين سيدتي..

أنني في غيابك عني

تغيَّرت شخصيتي كثيرًا..

فأصبحت منفعلًا بشدة..

وازددتُ أكثر قسوةً وحِدَّةً..

وصِرتُ رجُلًا يستمتع بالوحدة..

وكأني رافِض أن أكون لسواك بعدك..

ولتعلمي أنني لن أكون لامرأة غيرك أبدًا..

هل تعلمين سيدتي..
أني أراكِ في وجوه الناس حولي..
أراكِ في ابتسامات الأوفياء،
وضحكات السعداء..
أراكِ في بهجة الصغار،
وفرحة الكبار..
أراكِ حتى وإن لم يشبهوكِ
أراكِ فقط في الخير منهم
فأنتِ لا يُشبهك أحدٌ أبدًا
مهما رأيتُ بعدك منهن!

هل تعلمين سيدتي؟
أنه لا ثقة لديَّ إلا في عينيكِ..
فعيناكِ أرض لا تخون أبدًا..
فدعيني أنظر إليهما..
دعيني أعرف من أكون أنا؟

هل تعلمين سيدتي؟

أن سِرَّ شقائي هو أنتِ..!

لأنكِ لستِ حلمًا أراه في منامي..

إنما أنتِ حلمٌ يجعلني لا أستطيع النوم..!

هل تعلمين سيدتي؟
أنك امرأة امتزجت بها
الرقة والصلابة معًا..
فكيف لي لا أهيم بها عشقًا
في رقتها وصلابتها معًا..؟!

هل تعلمين سيدتي
أن النساء في عيني أنتِ..
وأن البغاء في عيني أنتِ..
وأن الشرف في عيني أنتِ..
وأن الترف في عيني أنتِ..
وأن العفة والحنان..
والقسوة الأمان..
والعشق والجنان..
وكل شيء، كل شيء
هو أنتِ.

هل تعلمين سيدتي؟
أن النساء في حياتي أنتِ
وأني لم أر في غيابك امرأةً غيرك
ومهما رأيتُ منهن..
لا أُبصرُ فيهن إلا قليلًا منكِ.

هل تعلمين سيدتي..

أنني حينما أمنعك عن الارتماء بحضني..

فذلك ليس لبرود يتخللني، أو لأمرٍ ما عنكِ يشغلني..

وإنما أنا أعلم قدر اشتياقك لحضني، ومدى شوقك لي..

فيُعذبك الشوق.. ويؤرقك الاشتياق.. حتى أسمح لكِ باللجوء إليَّ.

هل تعلمين؟

أنني أحمل لكِ دومًا

بداخلي همساتٍ حائرة..

أهديها إليكِ ليلًا بأُمسيات ثائرة..

أبدؤها بكتابة "أني أعشقك"

وأختمها دون وعي مني

بحروف متناثرة!

هل تعلمين سيدتي؟

أنني في غيابي عنك

تغيَّرتُ كثيرًا جدًّا معهن..

فازددتُ مع النساء صرامةً وحِدَّة..

وصِرتُ لكل من تحاورني منهن أكثر صدًّا..

وكأني رافضٌ باستحالة.. أن أكون لغيرك أنتِ رجُلا!

هل تعلمين سيدتي..

أنني بمجرد سماع اسمك فجأة..

يتم تشتيتُ انتباهي كاملًا دون وعي مني!

وأنه بمجرد قراءة حروف اسمك صدفة..

تظهر عليَّ كل علامات التوتر والقلق والارتباك!

وأنه بمجرد السرحان فيكِ لحظة..

يتبدل حالي النفسي من حالٍ إلى أفضل حال!

وأنه بمجرد رؤية من يُشبهك بُرهة..

تظهر على شفتيَّ ابتسامة الشوق والحنين!

إنها معجزاتك أنتِ.. يا امرأة المعجزات.

هل تعلمين سيدتي
أنني كلما نظرتُ إليكِ..
رأيت ذلك التمرد في عينيك..
وكلما اقتربت منكِ،
وجدتُ تلك الفتنة على شفتيك..
وكلما أقدمتُ عليكِ،
تحسستُ شراستك إذا احتضنتك..
وكلما تذكرت ذلك كله بعدكِ..
سألت نفسي.. هل ذلك الذي يحدث بيننا
ظمأً أم ارتواء؟ هدمًا أم بِنَاء؟ انحدارًا أم ارتقاء؟

هل تعلمين سيدتي..

أنني عندما كنتُ أمنعك عن لمس بعض من جسدي

لم أكن أمنعك خجلًا منكِ.. ولا فضيلةً مِني..

وإنما أنا فقط كنت أتلذذ بحرمانك منه

وأستمتع برؤية اشتياقك إليه..

كنتُ أُعذبكِ اشتياقًا..

وأقتلكِ حرمانًا..

ذلك فقط..

ولاغير.

هل تعلمين سيدتي؟

لماذا تضع النساء المكياج؟

ولماذا يعتاد الرجال الكذب؟

ذلك لأن الرجل يعشق المرأة لجمالها..

وتعشق المرأة الرجل لجمال كلماته..

لذلك لم أطلب منك ليلةً أن تتجملي

ولم تطلبي مني يومًا أن أُغازلك..!

هل تعلمين سيدتي..
أنني في كل لحظات
ألمي وضعفي..
وخوفي وحزني..
لا أتذكر أحدًا
ولا أحتاج أحدًا
ولا أتوق لأحدٍ
ولا أشتاق لأحدٍ
إلا أنتِ..!

هل تعلمين سيدتي؟
أنني بكيْتك لحظاتٍ طوالًا..
وافتقدتك ليالي أكثر طولًا..
واعتزلتُ الناس أيامًا وشهورًا..
وكتمتُ لسنواتٍ مضت
بأعماقي شوقًا عُضالا..
ولا أصدق إلى الآن..
أن غيابك عني
مضى عليه سنوات..
ومضى معه كثير مني!

هل تعلمين سيدتي..؟

أنه في لحظات غيابك عني..

أستشعر وجودك معي، حلمًا وواقعًا..

ليتسرب بداخلي ثاني أكسيد الحنين..!

هل تعلمين سيدتي..
أنني منذ افتقادك بتلك الليلة
ما زلتُ أفتقدك..
كافتقادي لك من أول ليلة..

هل تعلمين..؟

أنني ما زلتُ أتذكر

تفاصيل ملامحك إلى الآن..

ورغم ذلك أعجز تمامًا عن رسمك

مع أني أرسم دومًا ما يجول بداخلي!

ربما لأن مثلك لا يستطيع رسمه غير خالقه،

الذي أبدع رسمه وتصويره، كما أنتِ إبداع بحق!

هل تعلمين سيدتي..

أنني في غيابي عنكِ

قد افتقدتك جدًّا..

واحتجتك جدًّا..

واشتقتك جدًّا..

وأحببتك جدًّا..

وكرهتك جدًّا..

وتمنيتك جدًّا..

وتخيَّلتك جدًّا..

واشتهيتك جدًّا..

وسمعتك جدًّا..

وحادثتك جدًّا..

ونهرتك جدًّا..

وعنفتك جدًّا..

ودفعتك جدًّا..

وعاقبتك جدًّا..

ثم حضنتك جدًّا..

ووجدتُ أني عشقتك جدًّا..

وعرفتُ أن "جدًّا" تلك

لا تكفي ولن تكفي..

ولا تصف ولن تصف..
ولا تُعبِّر ولن تُعبِّر..
ولا أي شيء أبدًا
عمَّا بداخلي إليكِ جدًّا!

هل تعلمين سيدتي..

أنني ما زلتُ أتذكر عينيْك إلى الآن

بنيتان.. صافتيان.. ثائرتان كالبركان..

فيهما لهيب شوق.. وجحيم عشق.. وحرمان..

فيهما نبضات قلب.. وخفقان صدر.. وامتنان..

فيهما امرأة، كنت قد تخيلتها كما هي.. ووجدتها

بكل ما تخيلتُ فيها وما توقعت منها من قديم الزمان..

ثم اختفت مني، ورحلت عني، تاركةً لي بقايا الأحزان..!

عمري ما فكرت فيكِ..

ولا كنت يوم مشغول بيكِ..

ولا خدت بالي من لون عنيكِ..

ولا ركزت لحظة في لمسة إيديكِ..

ولا تخيلتك معايا.. ولا حسيتك جوايا..

ولا شُفتك بعنيَّا.. ولا شميت ريحتك حواليا..

ولا سألت أصلًا عنك.. ولا استنيت شيء منك..

ولا عمري يوم من حياتي كنت كذاب بالشكل ده..!

لأُخبرك بشيء سيدتي..

أنني منذ غيابك الأول عني

مارستُ أشد التصرفات غباءً!

فوضعتُ صورتك بحرف وسادتي،

ونقشتُ إسمك على جدران شُرفتي،

ورسمت وجهك مُلونًا في أركان حجرتي،

ونثرتُ قصاصات أوراقك بأرفف مكتبتـي،

وجعلت عطـرك المعتاد فواحـةً بين ملابسـي،

فبدلًا من التحـرر منك، زدتُ في التعلق بك..!

وصرت ما زلت أفتقدك، كافتقادي لك من أول ليلة!

هل تعلمين سيدتي..

أنني أقرأ كل ليلة

رسائل أرسلتها..

وأني في كل يوم أظل

أُحادِثُك بأحاديثَ تُحبينها..

ثم أستمتع بنقاشك في رسائلك

وأنتظر استفسارك عن أحاديثي..

كل ذلك..

رغم أنك لم تراسليني يومًا..

ولم تُحادثيني ولو بحرف..!

هل لي أن أخبركم عن سيدتي..

يومًا ما وبمجرد دخولي إلى المنزل

وجدتُني أصدر العديد من الأوامر وأنهي عن أكثرِها من

النواهي وأطلب ما يزيد عنهما من طلبات..

ووجدتها تبادرني بنعَم، حاضر، طيِّب..

وبعدما فَعَلَت ما أمرت وانتهت عما نهيت ونفذت ما طلب

إذا بها قد أُنهكتْ فاستلقتْ على سريرها متعبةً..

فتأملتها وسألتني:

ما بالك زوجتي تركتِ من سنوات مضت منزل أهلها

بما يحمله من طمأنينةٍ وأمل،

لتحلَّ بمنزلي بما يحمله من أعباء وثِقَل..

فكيف لي أن أعاملَكِ بما سبق؟ وكيف لي أن أوثرَ عملي على بيتي؟

وأنْ أتحمل آلامَ مرضاي على أن تتحملي آلامي أنتِ؟

وكيف لي أن أهنأَ بين أركانِ مكتبتي دون هنائي بوجودي بين يديكِ؟

فأيقظتها مُقبِّلًا يديْها معتذرًا لها أني نسيت كلمات والدي إليَّ:

"من يُعامل المرأة كأميرة إنما تربي ابنها ليكون ملكًا"

أيتها الأميرة عذرًا لجهلي بمنازلِ الأميرات

وليعلم كل الرجال

عن كل من يعرفوهن من النساء

أنك إنْ لم تملكها روحًا..

فلا تسعَ لامتلاكها جسدًا..

وإلا صارت جُثةً تتمنى منك الخلاص.

وليعلم المُحب..
أن الحُب ليس للحَبيب الأولْ..
وإنما الحُب للحَبيب المُخلصِ..
حتَّى ولو كَان العاشِر..!

كلما عَدَّدتُ حقوقي عليها،
أيقنتُ تعدُّد واجباتي نحوها..
كلما فَكرتُ أني مخلوق له حاجات،
تذكرتُ أنها خَلَّاقة لها إنجازات..
كلما شَعَرتُ بضغوط الحياة،
استشعرت همساتِ صوتها في المُنَاجَاة..
تحيةَ تقديرٍ واحترام وإجلال للمرأة في يومها..
أمي، أختي، زوجتي، وابنتي..
أصل مجيئي.. سر أسرار حياتي..
ريحانتي وأُم أزهاري.

كُنتُ مُؤمنًا بعودتك،

كُنتُ مُوقِنًا دومًا بلقائك..

كُنتُ طامِعًا في حديثٍ مَعكِ،

كُنتُ طامحًا في حلمٍ يجمعني بكِ..

كُنتُ آمِلًا ولو خيالًا أو تَيُّلًا في رؤيتك،

كُنتُ أُحسِنُ الظنَّ فيكِ طيلة سنوات غيابك..

حتى صَدَقَ إيماني، وتحَققَ يقيني، وفعلًا قابلتكِ..

فلم يَيب طمَعي، ولم يَور طموحي.. وصُدفةً رأيتكِ!

لأجدك مثلما تركتك.. ما زلتِ كما عهدتُك.. برِقتك وبراءتك..

وها أنا قد رأيتك، وليتني ما رأيتك.. فقد صَدَمتني صُدفتك..

ها أنتِ بعدما كُنتِ لي مَعشوقةً وحلمًا.. صِرتِ لغيري زوجةً وأمًّا..!

فيا ليتني ما رأيتكِ.. ليتني ما عشقتكِ.. ولا لسنواتٍ مضت انتظرتك..

وليتني من قبل ما قابلتك.. ليتني أصلًا ما عرفتك.. ولا يومًا شاهدتك..

ليتني ما تمنيتُ عودتك.. ولا ترقبتُ لقاءك.. ولا تلهفتُ حديثك.. ولا تخيلتك..

ليتني أستطيع حقًّا أن أدعو مُخلصًا.. أن يبارك لكِ رَبي في ولدك وزوجك..!

قالت لي مُجهدة مُتعبة مُنهكة،
أما لكَ أن ترقيني..؟ فقلت لها بلى..
وقلت في نفسي تلك هي فرصتي وتمكيني..
فمسحت على شَعرها مُهمهمًا "بسم الله أرقيكي..
فلا أحد سواي إنس كان أو جان، يسكن قلبك ويحتويكي"

= **أنا**: ليه ملامحك حزينة وبترسمي ابتسامة لما تلمحك عيني؟

- هي: حاساك مش معايا، أو مش مبسوط مني!

= ليه شاكه في مكانتك عندي؟

- رغم كلامك القليل بس بطمِّن لما أبصلك..

= عايزك تكوني دايمًا واثقة في نفسك..

- ثقتي هتزيد وأنا ملكك وبتاعتك..

= إنتي فعلًا جنبي..

- أنا خدامتك..

= إوعي تقولي كده تاني، إنتي سِتي..

- هفضل دايما تحت رِجلك يا سيدي..

= إنتي ع راسي وأنا بحترمك..

- عارفه إنك مش بتحبني، وعارفه إنك يدوب قبلتني، بس كل ده مش هاممني..! كل اللي هاممني إنك تعرف قد إيه أنا حبيبتك واتمنيتك ولو ساعة واحدة في عمري..

= ليه بتقولي كده أنا معاكي وإن شاء هنكمل سوا ننجح سوا..

- أنا بوعدك حتى لو إنت مش معايا، عمري ما هكون غير لك.. لا حياة ولا موت، ولا كلام أو سكوت.. ولا عمرك هتسمع لي صوت، إلا حاضر اللي بتزيدني جمالًا، ونعم اللي بتحليني في عنيك، وأوامرك اللي تنفيذ مش كلام، وتعليماتك اللي هتكون طريقي..

وكلمة شرف مني حاسبني عليها: هخليك تحبّني..
بس طبعًا مش زي ما أنا حبيتك، قصدي عشقتك..
ربي ألهمني الصبر في الأمر، والعزيمة على الرشد،
واجمعني ربي بمن فقدت ولم أفتقد، دنيا ودين.

ألف سلامة عليكِي..

يا نِن العين.. ونبض القلب.. وروح الروح..

سلامتِك يا حِتَّه مني.. يا أجزائي.. يا كلي المجروح..

بعد الشر عنك يا أنا، ياريتني كنت أنا.. ولا يكونلك ألم مسموح..

لا تشغلي بالك أنا جنبك، ولا تقلقي أنا معاكي،

ولا بألَم في يوم هتحسي،

لأني أنا جواكي.. أشيل عنك، وأبوس ألمك،

وأعيش هنا أطبطب ع اللي واجعاكي

لحد ما الألم هيــرُوح..

ومش هقول اطمني، لأنك عارفه ف وجودي مافيش مخلوق هيقدر ييجي على

سِتّي، وسيدتي، لأنك أنتِ جرحي المفتوح..

حتى ولو كان الألم نفسه..

لأني هفضل أدعي رب الألم نفسه، بالشِفا وأتصَدَّقله عشان الشِّفا،

وأفضل أتكلم معاكي عن الشفا، لحد ما الألم هيرُوح..

سلامتك يا كل الهنا، سلامتك يا أنا المدبوح.

من قال لكِ أنكِ وحدك!

من أَوهَمك أنكِ بمفردك..!

من بهذا أو بذاكَ قد خَدَعك!

أنسيتِ أني أنا المسئول عنك؟

وأني أول المهتمين فعلًا بأمرك؟

وأني آخر المنتظرين شيئًا منك؟

وأني أكثر المُنشغلين منهم بشأنك؟

ألم أُخبركِ أني سأظل دومًا بجانبك؟

ألم أعدُكِ أنني سأحميكي وأتحمَّلك..؟

ألم تهدئي وتطمئني حينما احتضنتك...؟

ألم تنامي في حضني وبقبلةٍ مني أيقظتك؟!

ألم أُحيِيكي من جديد، وأُحررك من قَيْدك العَتيد..

لأُزيدك فوق المزيد من الحنان والأمان مَزيدًا ومَزيد..؟

ألم تعلمي مكانتك عِندي وقَدرك؟ أم أنكِ بحاجة لأُذَكِّرك!

أعدُكِ سيدتي..

وستشهد الأيامُ وَعدي إليكِ..

أنني سأقتحم حدودَ نفسِك،

وأحتلُّ جميعَ أركانك..

سأذوبُ بداخلك..

فأَسري سِا بدمك..

وأراودُ جَهرًا أحلامَك..

سَيَنْسابُ عطري في أرجاءِ حجرتِكِ..

فتري ملامحي في مرآتِك..

وإن أغفلتي النظرَ إليَّ احتَضَنتُ أنفاسَك..

لترينى ليلًا فى منامك..

سأعانقُ عينيك في يقظتِك..

فيتخللُ طيفي ثنايا قلبِك، وخبايا دُنياك..

فأبدًا لن تضيعي مِنِّي، أو تبعدي عنِّي..

إنما ستكونين دومًا، لي وَحْدي.

قرأتُ أذكار المساء لي ولكِ..
فكيف لا أذكُرك عند ربي وقد أكرمني بكِ،
واستغفرتُ في السَّحر لي ولكِ..
فمثلك لا يقترف ذنبًا إلا ومثلي كان سببًا فيه،
وصليت النافلةَ بعد الفرض لي ولكِ..
فما دُمت لم أصلِ بكِ فسأصلي حتمًا معك،
وقررت كتابة ما كان مني كل ليلة إليكِ..
لتعلمي أني حتى في عبادتي لن أتخلى عنكِ.

سيدتي.. قالوا: إن
المستحيلات أربعة..
هل تعلمين خامسَها..؟
أنكِ لن تجدي رجُلًا مثلي..
وقالوا :إن المستحيلات سبعة..
ثامنها، أنني لن أتخلى أبدًا عنكِ..
فكوني مطمئنةً، أنكِ لي.. مهما قالوا..

سيدتي..

لُطفًا أخبريني..

أين تُباع المسافات..؟

لعلي أشتري أقربها إليكِ!

زي انهارده ف نفس الساعة..

ببساطة خالص ومن غير مقدمات، فقدتها..

إوعي إيدك.. إوعى إنت.. مش هههزر معاكي تاني..

عادي جدًّا، زي كل لحظة بينا، وفجأة لقتني مش سامع ردَّها!

لِساني مش مصدق، لسه فاكرها هزار، مش مِجمَّع، لسه بأذِّن ف ودنها،

اتلموا بعدي حواليها إهدى يا أحمد ماتت بجد وأنا مش مصدق وفاتها وقتها،

شُفت الدنيا سودا بعدها، شفت موتي في كل ليلة عشان أقدر أروحلها،

عِشت كل أحاسيس المخاوف لما حد جنبي يُسكت دقايق زيَّها،

بس بعد سنين مش كتير، حمدت من قلبي ربي..

لما راحت عننا.. وارتاحت مننا.. ولاقت ربها..

وسألت نفسي، مش إنت كنت بتحبها؟ طب ليه؟

ليه عايزها تشوف بلاوي نفوس حواليها، كنت فاكرهم زيَّها..؟

ليه عايزها تتصدم ف اللي كانت فاكراه أصيل وهو بيتاجر باسمها؟

ليه عايزها تتخدع زيّك فاللي عشت عشانه شايل همّه راجي راحته بعدها؟

ليه عايزها تعرف عنهم، كل اللي عِرفته إنت منهم، هو كان إيه ذنبها؟

أنا والله مش مستكتر عليكي جنتك.. ولا باصصلك ف وحدتك..

بس كنت عايزك جنبي أقولك على اللي شفته فيهم بَعدك..

وأفرَّحك، ارتحتي لما سبتينا، وعارفك عِرفتينا..

واطيين، وناقصين، وللجميل ناكرين..

بس وحياتك اللي ما بطلَّت أبدًا أحلف بيها..

لأفضل أسعدك، عارف نجاحي وراحتي بتبسطك..

وأفضل معاكي على عهدي ويَّاكي أزورك وتزوريني برؤياكي..

أقولك ساعدت كام م الناس، وعالجت كام م الناس، وتطمنيني بتفرحي

وتبلغيني وأنا ف مطرحي.. كَمِّـل.. وهدعيلك يزيدك رب الناس..

وما تخافيش عليَّا من شر الناس.. أنا مش ف الجنة زيَّك،

لكني طالب الجنة زيّك، حتى ولو كنت مش زيّك..

فاكر كلامك ليَّا، يا أحمد طالب الحب متحصن

وطالب الكُره مكروه.. ف الأرض متحسَّر،

وأنا متحصن بمحبتي ليكي وشايفك

هنا جنبي.. اطمني عليَّا.. وخليكي معايا..

أشوف أملي ف عنيكي لما بتجيني، وأعيش عمري

مطمن كده بيكي.. وشايف فيكي أحلامي، لآخرتي ودنيايا..

ومش هقولك وحشتيني، طب بذمتك، هتوحشيني إزاي وإنتي جوايا!

يا امرأة لم أنسها يومًا.. ولم أنس دعواتها لي..
يا أول من أحببت، وآخر من نظرت.. هكذا كُنتِ تدعين لي
"ربنا يحنن عليك القلوب القاسية، ويجعل قلبك زي الجبال الراسية"
أتمنى أن تكوني بعدي أفضل.. رغم أني لم أعُد في غيابك أفضل..
ولكنها مجرد ذكرى، رحلتِ أنتِ، وبقيت هي لي.

حينما تَضيق نفسي..

ألجأ لطريق يقودني سريعًا إليك..

تكون نهايته راحتي، عند لقائي شوقًا بِكْ..

لأُفرغ في حضنك.. حديث طوييييل عني وعنك..

شاااااخ بداخلي واستماااات.

انهارده عيد ميلادك يا نن عيني..

عارف إنك عمرك ما سيبتيني..

حاسس بيكي لما بتجيني..

تحطي إيدك ع جبيني..

وبأذكـارك بترقينـي..

شايفك هناك بتلعبي..

سامعك باسمي ترَحَّبي..

تقومي على كتفي تطبطبي،

تحضنيني أوي، وجنبي تقربي،

أشتكيلك منهم وانتي تستغربي..!

وتعرَّفيني ليه مني استغربتي!

وتفهميني حقيقتهـم، إنهـم

كلهـم كـده على بعضم..

فيهم أسوأ ما في الناس..

فيهم كتير من شر الناس..

ليه يطلعـوا أوباش وأنجاس..؟

سلبي، ولئيم، وخَنَّاس وسواس..!

نهايتُه.. عارفك إنك عِرفتينا..

وارتحتي منا لما سبتينا..

واطيين.. وناقصيين..

وللجميل ناكرين..!

بس وحياتك يا غالية..
لتفضلي دايمًا جوايا عالية،
وأفضل مدين ليكي بكل الفضل
لمَّا بحلمي تيجي، وتِشدِّي على إيدي
وبحضنك تغطيني وعلى كتفي تطبطبي.

لم نسمع منهم تهانيهم..
لم تصلنا هذا العام رسائلهم.. كانوا
يكتبون على صفحاتهم" اللهم بَلِّغنا رمضان"
وأسفًا لم يبلغوه.. بل فقدوه.. كما نحن فقدناهم..
فاللهم بلِّغهم مغفرة الشهر وعِتقِه، كأنهم صاموه وقاموه..
وارحم يا ربنا كل من فقدوا رمضان، وفقدناهم، ولم نفتقدهم،
حقًّا لَم نفتقدهم.

يأتي العيد تِلوَ العيد..

ويولد الوليد بعد الوليد..

ويسقط الشهيد يَليه الشهيد..

ويبقى لي أَحِبَّةٌ عِشقَهم في القلب يزيد..

ماكثين برُكنٍ رشيد، في ضياء بعيد.. إنهُم أهل القبور..

سلام عليكم أحبابي في عيدٍ جديد، سلام عليكم بحنينٍ شديد..

فقدتكم ولم أفتقدكم، أستشعركم حولي بملامحكم، ضحكاتكم، كلماتكم،

أتلمَّسها مع هلال كل عيد.. سَلامٌ حتى يَحين لقاء أكيد.

مساكين، يهنئوني بالعيد!

أي عيـد ذلك وأنـتِ لستِ فيـه..؟

أنتِ عيدي، وجدت في غيابك وعيدي..

رغم كل ما نشرتُ من أمل.. كُنتِ أنتِ ألمي،

ورغم كل ما حققتُ من عمل، صرتِ أنتِ عملي..

أسمعهم جميعًا وصوتك لا يفارق أذني..

أراهم جميعًا وصورتك في عيني..

أُنصت لهم وهمسك في قلبي..

أنصحهم، ولم أستطع نُصح نفسي،

أكُن بجانبهم.. ولا أجد سواكِ بجانبي..

أنشغل بأمورهم، ولا أحد غيرك ينشغل بأمري..

مجانين.. أو معذورين، يقولون لي انساها!

فقد رحلت عن عالمنا ولم تَعُد تبقَى..

لم يبقَ لك منها إلا ذكراها..

أنسى من؟ وكيف لي نسيانها؟

ما بالكم يا قوم لا تعقلون ما تقولون..

كيف لكم بسهولة تنسون.. ومني تطلبون..!

أسألكم بالله يا قومي، فرفقًا بي أجيبون..

هل تجوز لي صلاة إن نسيت الفاتحة؟

كذلك لا تجوز لي حياة بدونها..!

وإن لم تَكُن لكم ظاهرة..

فهي لي الغائبة الحاضرة..
العفيفة الطاهرة، الضعيفة القادرة،
هي فاتحتي وخاتمتي، عيدي ووعيدي،
سعادتي وشقاوتي.. أملي وألمـي..
هي كل ما شعرت به وفكرت فيه
وكل ما أقدمت على فعله..
فقط لأجلها هي.

سيظل لهم عيدهم..
وتظلِين أنتِ لي عيد..
أنتِ عيدي.

ممكن حد يوحشك.. فتشوفه،

ممكن يكون اللي وحشك مات.. فتزوره،

وممكن يكون عايش، بس أحسن ما فيه مات.. فتموِّته جواك.

وستبقين يا سيدتي..
سِرًّا يُسعدني حين تضيق دُنياي..
وهم لا يشعرون.

جربت حد يوحشك..؟

جربت كل حاجة فيه توحشك لوحدها؟

جربت إنك تشوف اللي وحشك كأنه قصادك؟

جربت إنك تسمع صوته بيكلمك كأنه فعلًا معاك؟

جربت إنك تجري على سريرك.. وتدخل بسرعة في نومك.. عشان عارف ومتأكد إنك هتقابله في أحلامك؟

جربت تصحى من نومك شامم ريحته بجد كأنه حواليك؟

وتلاقي علامة على جلدك..! كانت من لمسته لك في حلمك؟

ها جربت..؟ أنا بقى جربت كل ده وأكتر.. تعرفي ليه..؟

عشان الحنين مش مجرد مشاعر فقدان لشخص!

الحنين ده دقات قلب تحسها كل ما تفتكر

أي حاجة من الحاجات دي..

مع حد بيوحشك!

من قال إني لم أُحادثها؟

ومن سمع أنها لم تُحادثني..؟

فقد طاااال حديثنا ليلتها حتى غِبنا..

وطالت غيبتنا منذ كُنا، وإلى الآن ولم نفق!

سيدتي الغائبة..

يا روحًا استوطنت نَفسي..

استوطنتني وهي لم تحضر بعد..

هل تعلمين أنني صليت لله قَبلًا لكِ تأتي..

وأنني كثيرًا ما دعوت الله في غيابك أن تأتي..

حتى حلمت أنك جئتِ.. ثم استيقظت مصدومًا بأنك لم تأتِ..

ورغم ذلك لم أفقد الأمل بعد، لم أفقد الأمل في أن تَضري جسدي.

وكلما تذكرتك، تصبَّب مني عَرق الحنين..
فصرتُ أتلمَّسك في غيابك وأتحسسك
يا هِبة الله لي، وجميل رحمته بي،
وهديتـه إليَّ.. ومِنَّتـهُ عليَّ..
أتعلمين قَـدرك عنـدي..؟
هو نفس قُربك مني،
وأنـتِ بحُضنـي..
وأنا أرعاكِ بعيني،
أقتحمـك.. ثم أغتـالك..
ثم أحتَلّك.. مُعلنًا مملكتي..
رافعًا رايتي.. مُحققًا فتوحاتي..
فأعفو عنكِ، لأجدكُ أسيرة تنهيداتي..
وأظل أنا أسير ذلك الحنين لكِ والأنين بعدك.

مُنتهى الفرحة عندما تأتيني في منامي..

مُنتهى الثواب، عندما أتشوَّق لرؤيتك وأنام فأراكِ..

مُنتهى اللذة، عندما أتذوَّق حلو حضنك الدافئ في حُلمي..

مُنتهى النشوة، حينما أذوب فيكي ذوبان الملح في الماء بحضني..

مُنتهى الحكمة، تلك التي أسمعها منك دومًا حين مناقشتي..

مُنتهى القوة، تلك التي منحتيها لي يومًا بمساندتي..

مُنتهى الضعف، أن أستيقظ من نومي..

لأرى أني فقط كنت بكِ أحلُم.. ولا أجدكِ حولي..!

وأكتشفُ أن الواقع كله، بكل ما فيه، لا يمثل لي شيء بدونك!

فأنتِ قد صرتِ لي بداية ومُنتهى لكل شيء وكل نومٍ وكل يقظةٍ يا امرأتي.

عام جديد وهي ليست معي..
أي جديد ذلك الذي يزيد من دمعي؟!
أي جديد ذلك الذي يزداد معه وجعي..؟!
أي جديد ذلك الذي يمر عليَّ دونها؟ ولن يُجدي!
أي جديد ذلك وكانت هي كل قديم وحاضر وجديد عندي!
الجديد عندك أنتِ.. تُرى كيف حالك يا سيدتي؟
كيف استطعتِ أن تتركيني هُنا وحدي..؟!
كيف استهنتِ بألمي عندما غبتِ..؟
كيف استطعتُ أنا أن أستمر في بُعدكِ؟
كيف استهنتُ حينها بشعور فراقك إذا رحلتي؟
كيف استجبتُ لانتهاء حياتي، عندما لحياتي فارقتي..؟
كيف استسلمتُ لنداء القدر بنهاية القرب منكِ؟
لا.. لا تخبريني عن حالك سيدتي..
بل دعيني عن حالي أنا أُخبركِ!
كُنتُ الأمل لهم، فصرتُ الألم بعدكِ
كُنتُ الفرح بينهم فصرتُ الجرح بغيابكِ
كُنتُ الطموح بدعمك، فصرتُ الجنوح بدونك..
آه يا أملي وفرحي وطموحي المنقضي برحيلك..
آه يا ألمي وجرحي وجنوحي الباقية لي بعد رحيلك..!
آه يا أجـزاء مِني.. تلك التي قد رحلــت مَعكِ..
آه يا كُلِّي.. ذلك الذي صار أجـزاء بعدكِ..
آه يا عمري، الذاهب بانقضاء عمرك..
آه يا أنا.. وما أكون أنا غيرك؟

ربما يتغير كثير مما هو فينا..

كما يتغير كثير مما يوجد حولنا..

لكن أشواقنا القديمة كثيرًا ما تعاودنا!

تلك هي قوة الحنين

الحنين لمكان كنت معتاد الذهاب إليه..

الحنين لصحبة كنت تأنس بالحديث معها..

الحنين لمهنة كنت تستمع أثناء أدائها..

فإذا ما شعرت يومًا بنداء ذلك الحنين..

يتحرك بداخلك يدفعك نحو أمر ما إيجابي..

كنت تمارسه منذ زمن بعيد..

فحاول أن تلبي النداء قدر استطاعتك..

أذهب لذلك المكان وأقضي به يوم إجازتك..

أتصل بذلك الصديق القديم وأطمئن على حاله..

وغيرها من الأشياء التي قد تدخل على نفسك

شيء من السرور والسعادة إذا لبيت نداء الحنين لها

لبّي نداء الحنين.

يقولون :إني كثيرًا ما أنحاز في كتاباتي للمرأة..!

نعم.. ولي الشَّرف..

فقد ولدتني امرأة..

وربتني امرأة..

وعلمتني امرأة..

وعنفتني امرأة..

وأحببت امرأة..

وتزوجت امرأة..

وأهدتني أبنائي امرأة..

فحينما كان الرجال أسوتي كانت أمي ملاذي وقبلتي..

وعندما أصبحت رجُلًا أصبحت زوجتي سكني وفرحتي..

فكيف لي ألا أنحازَ لها..؟!

وأنا منها جئت.. ومعها عشت.. وبها نجحت.

الرغبة الجنسيَّة تتواجدُ بداخل كلِّ إنسانٍ،
والشخصُ الناضج هو الذى يسمو بتلك الرغبةِ..
فالحبُّ هو الذى يولِّد الرغبةَ الجنسيةَ،
ولن تُفيدَ نفسيًّا إلا بممارستِها مع مَن نحب !..

أن تُحب..

هو أن تمتثل لفطرةِ الله التي فطر الناس عليها..

أن تنتقي زهرةً في حياتك تعود بطيبِ عطرها إليها..

أن تستحيَ دقات قلبك منها إذا ما مس كفك خَدِّيْا..

أن تعتلي دُنياك وتمتلكها إذا ما تأملت عيناك بريق عينيها..

أن تغتنمَ جناتِ ربك إذا ما رسمت ابتسامة دائمة على شفتيْها..

أن يمنحك ربك نجاحَ الدنيا ونجاة الآخرة بفضل حُسنِ عشرتك إليها..

أن تبتهلَ لله شكرًا.. لك زوجةٌ صالحةٌ ولأبنائك أمٌّ ناجحة فلتُقبِّل معهم يديها.

قبل أن تحكم على المؤلّف..
وتحاكِم المؤلِّف..

عزيزي القارئ..

ها أنا قد ختمت كتابي هذا..

ذاكـرًا فيـه بعـض المشـاعر، رافضًـا أن أسـميها أشـعارًا، راجيًـا منـك أن تقبلهـا منـي، آمـلًا فيـك قبولهـا كـما هـي..

قبولهـا بـكل مـا عِشـته فيهـا مـن أنـين الحنـين لامـرأة كانـت هـي بطلـة كلـماتي، في مواقـف معهـا شـملت أغلـب أركان حيـاتي، لذكريـاتٍ منهـا ظلـت بعدهـا تحكـم رغبـاتي، وحنـينٍ إليهـا دفعنـي لكتابـة مـا قـد يـراه البعـض سَردٌ وعَـرضٌ لعِـلاَّتي..!

وإني لأعلم يا عزيزي..

أنك قد تكون رأيت في حديثي بكتابي شيئًا من تجاوز..

أو أنك وجدت فيه فيضًا غير مبرر من مشاعر..

أو لاحظت به شيئًا من مبالغة في شعور..

أو كان به تطرُّف في بعض حروف..

أو تندر في بعض مواقف..

أو تعلق بأشخاص..

وأخشى ألا تكون بما شعرت به وقت كتابته لم تستشعر..!

وإن كنت في ذلك أعذرك.. ومنك لم أغضب.. ولكني في سعة صدرك أطمع..

وإني لأعلم- يا عزيزي- أن للكلمة بالغ الأثر، وأن أثرها في النفس أكبر..!

وأن للكلمة وِزرًا، فكم من حديث كان عقابًا كالضرب وأكثر..!

وأن للكلمة ذَنبًا، فكم من كلمات كالخطايا أو ربما هي أخطر..!

ولكني أريدك عزيزي- يرحمك الله- أن تعلم مثلي أيضًا:

أن الكلمة نور، فكم من حروف كانت للناس وبينهم للخير تنشر..!

وأن للكلمة فضلًا، فكم من كلمات دعَّمت أحدهم فظل لمن قالها يشكر..!

وأن للكلمة رزقًا، فكم من كلام كان للخيرات فاتحًا وللزرق أوفَر..!

وأن للكلمة بركةً، فكم من قول قلَّت به البركة وكم من غيره به تكثُر..!

وأن للكلمة روحًا، فكم من متكلم ينطق لسانه ولسنا بما ينطق نشعر..!

وأن للكلمة شكلًا، فكم من كاتب كتب قلمه ولم نجد لما كتب قبولًا يُذكر..!

وأن للكلمة لذة، فكم من كلمات تُوصّل اللذة للمرء ومنها يُكثِر..!

وأن للكلمة نشوة، فكم من كلمات تنقل المرء للنشوة دون أن يسمع أو ينظر..!

وأن للكلمة ألمًا، فكم من حروفٍ أوجعت سامعها ولم يُظهر ضيقًا أو ضَجر..!

وأن للكلمة أملًا، فكم من حروف أحيت نفوسًا كانت بالموت تشعر..!

لذلك عزيزي القارئ..

أطمح منك، وأتوسم فيك، وأقسم عليك..

ألا تحكم على ما قرأت لي في كتابي إلا بعد ما تستشعر حالتي وقت كتابته..

وألا تحاكمني على ما رأيته تجاوزًا في حروف أو تطرقًا في وصف أو خدشًا لحياء أو ذكرًا لتفاصيل أو سوء تأويل أو

تفسير.. إلا بعدما ترى صدق إحساسي بما سردت ووضعت وذكرت وفصلت..

وألا تظنني لستُ مباليًا بما جرى على قلمي.. بل إني كتبته بعد ما دفعني أنين الحنين لطرده، وعدم تحمل ضجيج الفقدان في نفسي، وألم الفراق في صدري..

فلتعذرني- عزيزي القارئ- لأنك حتمًا أفضل أخلاقًا مني..

ولتعاهدني آخذًا بيدي حتى أتجاوز معك ما ورد عني..

فإن كنت ترى لبعض كلماتي سوء أثر على النفس، فلتكن أنت- ومثلك أنا- حريص الكلمة، صادق القول، أصيل الفعل، قبل الحديث وخلاله وبعده..

وإن كنت ترى في بعض ما ذكرته وِزرًا أو ذنبًا، فربما كان لأحدهم دعمًا وصلاح قلب..

فلا نبخل عليه به، ولا نخجل من عرضه له، ولا نمل من نقد الآخرين لنا أن ذلك ليس من الحب..

وإن كنت ترى في بعض ما كتبته مُحبطًا، فربما كانت لأحدهم مُحفزًا فأمتنُّ لك، وربما كانت عن أحدهم مدافعًا فرد الله دفاعك عنه، دفاعًا عنك.. فلنكن معًا في ذلك ولا نقبل منه شرك.

وإن كنت وجدت في ما كتبته وذكرته، شرحًا لنفسٍ دون إذن، وعرضًا لدرسٍ دون فهم، فكن أكثر مني حرصًا على النفوس، وأكثر مني عرضًا لما تحمله من دروس، كما ادعيت

أنـا حـرصٌ عـلى فهمهـا وتحليلهـا وكشـف مـا وراءهـا وتفصيـل خباياهـا، والتنقـل بـين شِـعابها، والسـير في دروبهـا، والعمـل عـلى تعديـل سـلبياتها، وزيـادة إيجابياتهـا، والفـوز بطيـب أثرهـا..

لذلك كله وأكثر..

فكـن أنـت أكـثر منـي حرصًـا عـلى ذلـك، وأجمـل منـي خُلقًـا في ذلـك، وأفضـل منـي عرضًـا لذلـك.. ولتدعـو ربـك- عزيـزي- أن يغفـر لي أنـا كل ذلـك.

عن المؤلِف..

الدكتور أحمد هارون الشريف

أحد روَّاد الصحة النفسية والتنمية الذاتية بالوطن العربي..

يُعد من أبرز المُعالِجين النفسيين المعتمدين عربيًّا ودوليًّا..

ويتابعه على موقعه الرسمي قرابة الخمسة ملايين متابع من المهتمين بعلم النفس والصحة النفسية والتنمية الذاتية والبشرية..

فهو مستشارٌ للعلاج النفسي وعلاج الإدمان.

- ومُعالِج نفساني معتمد من وزارة الصحة المصرية.
- مؤسس أسلوب العلاج النفسي المعرفي الانفعالي CET
- مؤسس برنامج المناعة النفسية وحماية الذات PISP
- رئيس الأكاديمية العربية للعلوم النفسية AAPS
- عضو الجمعية الأمريكية لعلم النفس APA
- عضو الجمعية الأوروبية لعلم نفس الصحة EHPS
- عضو الجمعية الدولية لعلم النفس الرياضي ISSP
- عضو الجمعية الدولية للعلاج الأسري والزواجي IFTA
- عضو الجمعية البريطانية للعلاجات المعرفية والسلوكية BABCP

من مؤهلاته العلمية:

- درجة الدكتوراه في العلاج النفسي المعرفي Cognitive Psychotherapy من جامعة عين شمس.
- درجة الدكتوراه في قياس وتعديل التشوهات المعرفية وأخطاء التفكير Cognitive Distortions من جامعة عين شمس.
- درجة الماجستير في العلاج الزواجي والإرشاد الأُسَري، من جامعة عين شمس.
- درجة الماجستير في التشوهات المعرفية للاضطرابات النفسية والسلوكية، من جامعة حلوان.
- دبلوم علم النفس الإكلينيكي والتطبيقي، من جامعة عين شمس .
- دبلوم علم الإجرام في علم النفس الجنائي، من جامعة عين شمس.
- دبلوم التخاطب واضطرابات النطق والكلام، من جامعة عين شمس.
- دبلوم العلاج السلوكي للأطفال، من جامعة عين شمس.

ومما يعمل حاليًا:

- خبير واستشاري الشئون النفسية بوزارة العدل المصرية..
- مستشار علم النفس بعددٍ من معاهد تدريب وزارة الداخلية المصرية..
- مدرس ومحاضر بمركز الدراسات القضائية..
- مدرس ومحاضر بفرق ترقيات الضباط بوزارة الداخلية..
- محاضر ومُدرب للعلوم النفسية والتنمية الذاتية بعدد من الدول العربية..
- خبير علم النفس الجنائي بعدد من الهيئات الأمنية والقضائية..
- إلى جانب ترؤسه مجلس إدارة الأكاديمية العربية للعلوم النفسية والاستشارات والتدريب.

ومن مؤلفاته من كتبٍ علميةٍ وتثقيفيةٍ ومقاييس واختباراتٍ نفسيةٍ:

1. روشتة نجاح.
2. روشتة زواج.
3. روشتة سعادة.
4. ثاني أكسيد الحنين.

5. مشكلات الطفولة والمراهقة.
6. هكذا تخسر حياتك..!
7. كبسولات نفسية في السعادة والنجاح.
8. همسات نفسية في النفس والجنس والحياة.
9. اكتشف آلامك النفسية وتخلص منها.
10. مشكلات طفلك النفسية.
11. السلوك الإجرامي رؤية نفسية.
12. مقياس التشوهات المعرفية Cognitive distortions.
13. مقياس السمات والميول الشخصية personality traits.
14. مقياس مهارات التكيف والتعامل السليم.
15. مقياس الضغوط النفسية البيئية لدى المتزوجات

Psych-Environment Stress.

16. بطارية أخطاء التفكير والتشوهات المعرفية Cognitive errors، (وتضم 12 مقياسًا فرعيًّا لقياس أخطاء مختلفة في التفكير).

ومن أبحاثه الأكاديمية والعلاجية في مجال علم النفس والصحة النفسية والتنمية الذاتية، منها الآتي:

- التشوهات المعرفية لدى مرضى الوسواس القهري.
- أخطاء التفكير كمنبئ بالاضطرابات النفسية.
- الضغوط النفسية البيئية لدى المتزوجات كمنبئ بالطلاق.
- الضغوط النفس- بيئية لدى المتقاضين في المحاكم القضائية.
- أخطاء التفكير والتشويه المعرفي لدى المعتمدين على المواد النفسية وغير المعتمدين.
- التشوهات المعرفية لدى المكتئبين والوسواسين.. دراسة مقارنة.
- فعالية العلاج المعرفي السلوكي في خفض أعراض الوسواس القهري.
- فعالية العلاج السلوكي المعرفي في تعديل التشوهات المعرفية لاضطرابات الشخصية.
- المناعة النفسية كمتغيرٍ رئيسي في الصحة النفسية.
- مهارات الحياة الإيجابية وعلاقتها بالصلابة النفسية.
- العلاج المعرفي الانفعالي CET لاضطرابات الشخصية- أحدث أنواع العلاجات النفسية.

- العلاج المعرفي الانفعالي للقلق CET for Anxiety.
- العلاج المعرفي الانفعالي للخجل CET for Social Phobia.
- العلاج المعرفي الانفعالي للاكتئاب CET for Depression.
- العلاج المعرفي الانفعالي للوسواس القهري CET for OCD.
- العلاج المعرفي الانفعالي للإدمان CET for Addiction.

رسالتـه في الحياة:

يعمـل جاهـدًا عـلى الأخـذ بيـد المُضطربـين إلى السـواء.. والأخـذ بيـد الأسـوياء إلى التميـز.. لحيـاة يملؤهـا النجـاح وتغمرهـا السـعادة.

وللتواصل مع فريق عمل الدكتور أحمد هارون:

Tel.- What›app +201000061795

EGY: +201227440027

KSA: +966541072680

UAE: +971568314288

E.mail: info@drahmedharoun.com

Official Page: www.facebook.com/DAhmedHaroun

Website: www.drahmedharoun.com

د. حازم محمد نجيب
ملائكة في النار

د. أحمد هارون
هكذا تخسر حياتك

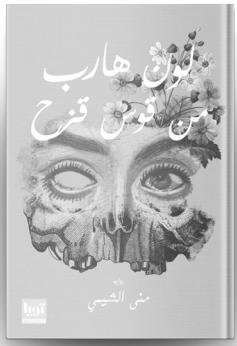
منى الشيمي

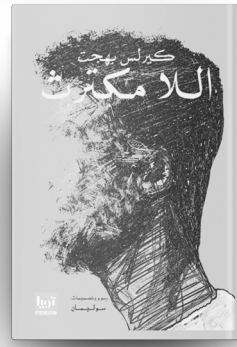
كيرلس بهجت
اللامكتوبة

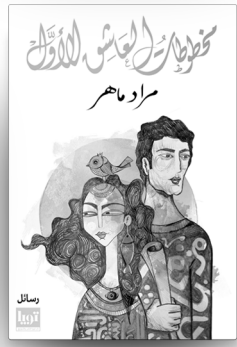
خطوط العشق الأولى
مراد ماهر
رسائل

لازم تاكل علشان تحس
سفاح الألفات
إسلام إدريس

EHAB MOUSTAFA
مقام الشيخ أمين
إيهاب مصطفى
رواية

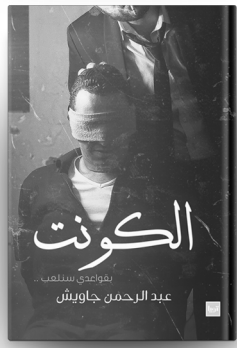
الكونت
بقواعدي سنلعب..
عبد الرحمن جاويش

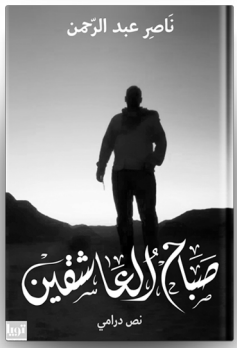
ناصر عبد الرحمن
صباح العاشقين
نص درامي

الكلام على إيه
تعديل مسار الدماغ
أشرف هلال
تريبا

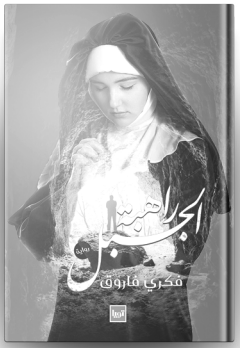
الجبل
فكري فاروق
تريبا

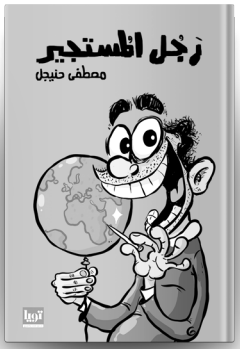
رجل الستجير
مصطفى حنيجل
تريبا

إطمن
أحمد علي
تريبا

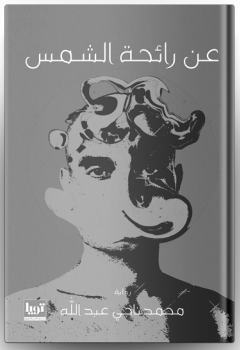
عن رائحة الشمس
رواية
محمد صادق عبد اللاه
تريبا

شريف سعيد
شفرة اللعبة
The Code Of Game
اتقان لعبة الإقتصاد وادارة حياتك المالية
تريبا

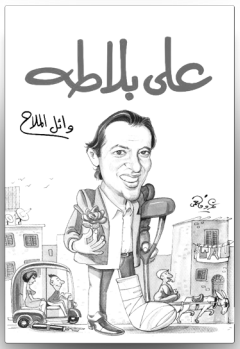
على بلاطه
وائل الملاح

نرمين عبدالله
بجينة رقم ٢
رواية
تريبا

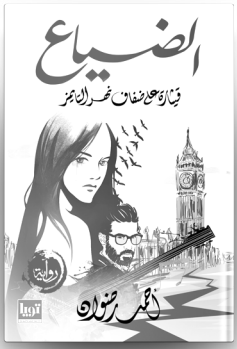
الضياع
قبل وبعد منتصف شهر الباتر
رواية
أحمد رمزي
تريبا

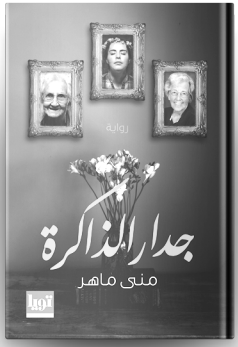
رواية
جدار الذاكرة
منى ماهر
تويا

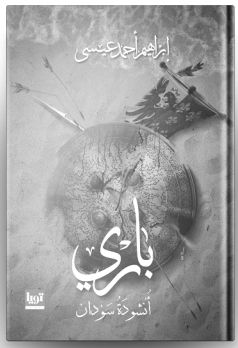
إبراهيم أحمد عيسى
باري
أنشودة سودان
تويا

خلطة غمري
سارة الذهبي
تويا

فن التواصل بين
آدم وحواء
الطبعة الثالثة
تويا

تويا
دار تويا للنشر والتوزيع

محمد طوبيا
الهؤلاء
رواية
تويا

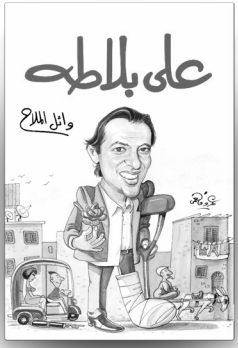
على بلاطه
وائل الملاح
تويا

النسخة
٣٥٠٠
قهوة مانو
حالة
أماني العدوي
تويا

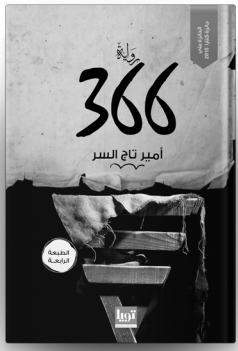
رواية
366
أمير تاج السر
الطبعة الرابعة
تويا